

كتاب أهلال

سكة سفر

محمد عفيفي



سلسلة
ثقافية
شعبية



كتاب الهلال

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عابد عياد

مركز الانارة

دار الهلال ١٦ محمد مر العرب

تليفون ٦٢٥١٥٠ - ٦٢٥١٥٠

KTAB ALHILAL

العدد ٤٢٠ - ربيع الأول ١٤٠٦ - ديسمبر ١٩٨٥

No 420 December 1985

الاشتراكات

لجنة الاشتراك السنوي ١٢٠٠٠٠
العربية تسعة جنيهات بالعملة المصرية وفي بلاد المغرب العربي
الفرنسي والبريطاني والباكستاني ثلاثة عشر دولاراً أو ما يعادلها
بالعملة المحلية وفي سائر أنحاء العالم عشرون دولاراً بالعملة
المحلية

والقيمة المضافة وفقاً لمقتضى الاشتراكات بدار الهلال غير
معدلة أو تتواءم بزيادة غير مذكورة وفي الخارج - يتصل
بمصدر كتاب مؤسسة دار الهلال بمخاض رسوم العمدة للتسجيل
على الاشتراك الموسعة اعلاء عند الطلب



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الساخر العظيم

بقلم : محمود السعدني

محمد عفيفي هو أعظم كاتب ساخر أنجبته مصر في العصر الحديث . ولكن محمد عفيفي - الأعظم والأقوى - ليس الأشهر بالمشهورة ، وربما جاء - بالنسبة لشعب مصر - في ذيل قائمة الساخرين - والسبب أن سخريته ناعمة ، وقلما شديد المساسية وشديد التورية أيضا ، فهو لا يجرح ولا يدمي ، ولا يترك أثرا في نفس من يتعرض لسخريته ، إلا الأثر الذي تتركه موجة خفيفة على شاطئه ساحر وجميل . وهو أقرب الكتاب الساخرين إلى مارك توين الأمريكي ، وأوسكار وايلد البريطاني ، وذلك كانت سخريته من النوع الراقى الذي يرسم ابتسامة على الشفاه ، وليس من النوع الذي ينتزع الضحكة من الأعماق . ولو كان محمد عفيفي كتب في بلد مثل لندن أو باريس ، لأقيمت له التماثيل في الشوارع والتكايد . كان حبيبته الدفن في مقبرة العظماء على شاطئ نهر السين . فهو ساخر صاحب سخرية ناعمة فقط ، ولكنه مثقف ثقافة واسعة ، وخبير في كل أنواع الفنون ، وسيستفيد قارئ محمد عفيفي دائما من إطلاعه الواسع على أسرار الفن التشكيلي ، وتفصيل التاريخ الموعوي . والعلاقة بين أدب العرب وأدب الآخرين - أيضا لم يشتهر محمد عفيفي في مصر وفي العالم العربي إلا في محيط طبقة المثقفين ، وهو وضع طبيعي في مجتمع يعاني من الأمية . مجتمع أعظم مدارسها الفنية هي مدرسة يوسف وهبي . محطته

بموهبة عبد المنعم ابراهيم في التمثيل موهبة عريضة مثل السمك البلطي ، وناعمة ورقيقة مثل حرير اليابان ، ومتعددة الألوان مثل بقط الاعلانات ورغم ذلك ، فهو اقل الساعرين الكبار حظا ، واقلهم فرصة ، واقلهم شهرة ، والسبب كما قلت من قبل ، هو غياب جمهور القراء في العالم العربي فحتى ما زلنا اسرى مدرسة افترضت منذ قيامها ان المواطن حمار ومسطول وغائب عن وعيه ؛ ولذلك ايضا عاش المنفلوطي كثيرا في وجدان الناس ، عاش ايضا يوسف وهبي لان صوته كان اكثر الاصوات زعيقا ، وكانت حنجرته اشد الحناجر صراخا ، لقد كان من رأى يوسف وهبي مثالا ، انه لا يجب ان يموت الممثل على المسرح كما يموت الناس في الحياة ، بل يجب ان يموت على المسرح مرتين وثلاث مرات ، ومن هنا سنكرر كثيرا عبارة ١

(انت ذلك الوحش الزنيم ناهش الاعراض وخارب البيوت الذي لعق لسانه في دم شرقي تلك الليلة الظلماء الحالكة السواد ، جزاك لا يكون الا الموت ومصيرك الفناء ، خذ يا عدو الله ، خذ ، خذ .. عليك اللعنة) ومع كل خذ طعنة خنجر ، بينما القتل يظل يصرخ بالصوت الحياتي حتى بعد ابدال الستار ، بل انه سيظل يصرخ حتى بعد الموت ؛ ومن هنا سيضيع محمد عفيفي ، لانه لا يملك هذه الموهبة الجعورية نسبة للجاعورة ، لان قلعه ناعم مثل موهبته ، وهو بذلك سيدخل الحلبة مجردا من السلاح الذي فرضه يوسف وهبي والمنفلوطي وحتى شوقي وحافظ ابراهيم والشيخ عبد العزيز البشري ، واصبح هذا الاسلوب الجعوري نفسه هو مزاج الناس ؛ والسبب الآخر هو ان محمد عفيفي الساخر ابتعد عن مزاج القارئ العربي ، واقترب من مزاج القارئ الخواجة ، ولعل اعظم نموذج على فن الساخر محمد عفيفي هو كتابه سكة سفر ، وهو مجموعة مقالات نشرها الساخر عفيفي عن سفريات قام بها مع انه قليل الاسفار ، اقرا السطور التي قدمها محمد عفيفي نفسه لكتابه (قضيت سنتين طويلة من حياتي اكره السفر واتحاشاه بكل

لاتنطلق الضحكات المججلة في جنباته إلا على ارضية المقاهي وفي غرذ الحشاشين ؛ ولم يكن يوسف وهبي زعيما للفن في مصر بالقوة الجبرية او بقرمان صادر من الباب العالي في استنبول ، ولكن يوسف وهبي وصل الى هذه القمة وتربع عليها لانه الوحيد بين الفنانين في زمانه الذي فهم نفسية شعبنا العربي ، وعرف خفاياها ، ووصل في اعتناقها الى قرار سحيق ، ولقد كانت موهبة عزيز عيد اضخم الف مرة من موهبة يوسف وهبي ، وكانت مواهب زكي طليمات اضخم ألف مرة من مواهب يوسف وهبي ، ولكن يوسف وهبي بموهبته الضئيلة استطاع ان يهزم عزيز عيد بموهبته الكبيرة ، واستطاع ان ياكل زكي طليمات بالرغم من مواهبه الضخمة ، وعاش يوسف وهبي فتانا لدى الجماهير حتى مات ، وعاش اكثر بعد الموت بينما مات عزيز عيد وزكي طليمات لحظة ان زارهما ملاك الموت ، وإن كان كل منهما يعيش داخل المعاهد الاكاديمية وفي ذاكرة المثقفين ، وهذا هو الذي حدث للكاتب الساخر الكبير محمد عفيفي ، عاش بعد موته عند نقاد الادب الرفيع ، وعاشت سطورته في ذاكرة المتذوقين ، مع انه كان اعظم من كتب الكلمة الساخرة في عصره ، ومع ذلك لم يستطع ان يصل الى سطح الهرم الاجتماعي في تركيبة المجتمع العربي ، لم يصل الى الاغلبية ، ولم تكتشفه الاغلبية ، وهو سوء حظ محمد عفيفي ، وسوء حظ اكبر للقراء على وجه العموم ، ولكن عفيفي الساخر العظيم ، كان يتحمل جزاء من هذه المسئولية ، فلقد اثر محمد عفيفي الثقيل ان ينزوي في برجه العالي بعيدا عن مشكلات زمانه واماسي امله ، وكان ينظر للحياة بعين سقمضة وعين نصف مفتوحة ؛ واعتمد اعتمادا كاملا على موهبته العظيمة ، وعلى سخريته الناعمة الرقيقة ، ولذلك ايضا جاءت سخريته ، ناعمة كالحرير ، مع انه لو استخدمها في المعارك لجاءت ناعمة كالشبان ، تلدغ وتقتل ؛ ولكنه اثر ان يتفرج على زمانه ، وان يلمس ولايجرح ، ويجرح ولايدمي ، وموهبة محمد عفيفي في الكتابة ، كانت اشبه

الطرق . وحتى الاسكندرية نفسها ماكنت لاسافر اليها في الصيف
لولا إلحاح الأولاد علي . ولولا مايقبش في خيالي من خواطر
صليحية ذات نكهة بيكينية خاصة . فانا من الناحية النفسية
اشبه بالاشجار التي تحب ان تجلس طول حياتها في مكان واحد .
عمرك شفت شجرة ماشية . ولعلني لولا ظروف السفر الى الرزق
لقبضت في المنزل لا أبرحه . ولربما تناولت الطعام في السوبركي
لا اتجشم مشقة السفر الى حجرة المائدة - اللهم الا اذا فضلت ان
انام في المطبخ (وبعد . هذا هو كتاب محمد عفيفي سكة سفر .
اقدمه اليكم . ليس كاستاذ يقدم تلميذا . ولكن علي طريفة مهرج
يردني ملابس مضحكة ويقف علي باب السرك يذق ناقوسا يدعو
الجمهور الى الدخول للفرجة علي ألعاب السيرك وفتونه . ومهما كان
حظ محمد عفيفي في الكتابة وفي الحياة . سينقل اكثر الساعرين
إحتراما . وأعظمهم قدرا . ورفعهم مكانة وخصوصا لدى المثقلين
وسيفتح من الأعماق لمنه العظيم هؤلاء الذين يضحكون من
الأعماق لاوسكار وايلد ومارك توين .

سكة سفر

قضيت سنين طويلة من حياتي اكوه السفر وأثأشاه بكل الطرق
. وحتى الاسكندرية نفسها ماكنت لاسافر اليها في الصيف لولا
إلحاح الأولاد علي . ولولا مايقبش في خيالي من خواطر
صليحية ذات نكهة بيكينية خاصة فانا من الناحية النفسية اشبه
بالاشجار التي تحب ان تجلس طول حياتها في مكان واحد . عمرك
شفت شجرة ماشية . ولعلني لولا ضرورة السعي الى الرزق لقبضت
في المنزل لا أبرحه . ولربما تناولت الطعام في السوبركي لا اتجشم
مشقة الى حجرة المائدة - اللهم الا اذا فضلت ان انام في
المطبخ

لاشك انها صفة من رواسب تربيتي من الطفولة . اذ استاذن
من أهلي في المنزل لكي ألعب في الشارع فيقولون لي بس
ماتروحش بعيد . فلعلني عصيتهم ذات يوم ورحت بعيدا فرقعوني
عققة . او ضللت الطريق في ذات رحلة طفولية ومارست خفة
الشتره . او أي حادث آخر مما يقع للعيال . هذا ان لم تكن فكرة
السفر نموًا . ترمز في أعماقي الى شيء غير السفر . شيء
لا أخلاقي او لا تقليدي او لا قلوني او أي شيء آخر قبله لا .
فلذا ملتصادف ان عرض علي الأصدقاء رحلة ما لما نتي ايدا
لنمعا بالرفق البات . ومع إلحاح استاذنهم في مهلة للتفكير . حتى
ولو كان السفر الى اليوم . اليها دعائي اصدقائي الصرافيش ذات
يوم واستاذنهم في تلك المهلة . وفي خلال مهلتى اخرجت اطلس

محدث أراضها في مقاومة البكاء مع الارتضاء على الأرض والتفويض
كالعيال .

لعل هذه الحكاية تعطيك فكرة عامة عن موقفى من السفر
والرحلات . ذلك الموقف الذى عاشته كذا أسلفت معظم سنوات
حياتى .

ولعلك تعجب بعد هذا من كتاب أسوقه لك بعنوان سكة سفر .
وأحدثك فيه عن الأقصر واسوان والبحر الأحمر . فإذا أنت عجبت
لأننا أشد منك عجباً . ولكنك تعرف الناس البشرية وكم هي
ضائعة . إذ لموجئت ذات يوم يلبنى أريد أن أسافر . فجاءت ومن
تلقاه نفسها زالت عنى تلك النزعة الشجرية الثالثة . وحلت محلها
نزعة عصفورية مناقضة تقول لى طير يا واد : ماذا حدث لى نفسى
لا أدرى ولكنه حدث . الشجرة العتيقة تحولت الى عصفور وانتهى
الأمر . وهكذا أمكن أن أقدم لك هذا الكتاب الذى أقول لك لى
بدايته . قد أمك سكة سفر !

لكى اتعرف على موقع الفيوم بالضبط . كنت أتمنى أن أجدها بعيدة
موجودتها للانساف فركة كعب . وجلست أدرج زياد الفكر بحثاً عن
حجة أخرى لتعلل بها للاعتذار عن السفر . سيارتى للانساف . وهم
يعرفون ذلك . قد خرجت لتوها من الورشة وصارت كالجديدة لنج .
وبالطبع لا يمكننى أن ادعى الحاجة الى شن البنزين . واليوم عطلة
وإيس ثمة عمل يريطنى بالقاهرة . والعيال صحتهم يعب ومن الظلم
أن ألق لأحد منهم مرضاً مفاجئاً . فتنهدت لى استسلام وقلت
أسافر ولكن بشرط . قالوا اشروط . فقلت لا أمك طول النهار يل
اعود ظهراً فى موعد الغداء . لماذا ؟ لأن بعضى الأقارب قد قالوا
أنهم سيحضرون ليتفقدوا عندى . وليس من الذوق بالطبع أن أترك
الضيوف يتفقدون بدولى .

الى الفيوم ذهبنا وما حمل القعدة على شاطئه بحيرة قارون .
لكننى ساعة الغداء نهضت مستأذناً وسطاً عاصفة من الاحتجاج .
شئ لى داخل يقول لى اننى قد غامرت بالسفر يجب أن يكون
سفرأ نصيراً . ويجب أن أقطع متعتى مع الاستدقاء على سبيل
التعويض عن تلك المفامرة . إذا لم أفعل ذلك فثمة شرعى الأفق
مستطير . وبالغورداه (وينبئى كمان) وجدتنى انطلق الى القاهرة
كحمار - الفوريد لا أنا - يبرطم الى البيت مشاكلاً . وذلك لى
اكتشف بعد نحو من عشرين كيلو أنه لا يوجد لى السيارة بنزين
كاف ! على الباطن عليها فى روت من البداية طريقة يفسد بها
الرحلة على . لم أكن محتاجاً الى أن أسدها بنفسى . فصرت
أدوس البنزين بشدة حتى تأخذ السيارة سرعتها . ثم أوقف الموتور
واتركها تسير بحكم الاندفاع . وهكذا طول الطريق بحيث مرت
الساعات وأما عازلت فى منتصف المسافة الى القاهرة . وإذا
بكلاركس ورائى . وقد أوشكت الشمس على الغروب بسيارة أخرى
تضم استأذنائى الحرافيش ! هم استمتعوا ببرومهم وعادوا
ميسرطين . وأنا كما ترى فى تلك الورطة الحزينة التى لا أدري كيف .

ذكريات من اسوان

(١)

في طائرة من طراز داكوتا جلست وبجانبى ص ص ج (صديقى صلاح جاهين) . واثنان من ضمن يعة صوت العرب الى اسوان سنة ١٩٦١ . قيل لى عن تلك الطائرة انها ليست طائرة بقدر ماهى توليفة من عدة طائرات قديمة مستهلكة . ولكن ذلك لم يهمنى . انا لم اركب فى حياتى اية طائرة . ولذلك استبعد جدا ان تكون الأقدار قليلة الذوق الى درجة ان تسقط الرجل فى اولى طائرة يركبها والداكوتا كما قيل لى حمار شغل . وعندنا براعة فذة فى الهبوط الاضطرابى . نهبط فى الحقل او فى الصحراء او حتى فى الشارع والانهار ولا يهمنى . فمن يدري ؟ اليس من الممكن ان يسعدنى الحنن خلال رحلة العودة بحالة هبوط اضطرابى امام باب البيت ولا الحوجة لتاكسى من المطار ؟!

حماس الشغل يزجر على ارض المطار متأهبا للحركة . لتقدمت منى مضيفة حزناء وفى يدها صينية عليها مايشبه البستانية . مع انه لم تبدر منى اية حركة توحى باننى من ذلك الصنف من الرجال الذين يتعاملون هذه الاشياء .

- دى دوا !

هكذا قال لى ص ص ج . دواء خافى لرفع الروح المعنوية عند الرجل الطائرة . ولمساعدته على احتمال الضغط الجوى وقلة



حلوة الصورة التى رسمتها لى . بس كنت عيلهاها بودنين عشان النحلة



جه تلك التي بعده وحطم كل الأثر بانه مشا ما عشي اعلاى له !!!

الأوكسجين في طبقات الجو العليا . فكنت أصدق لولا المضيق
التي شرحت لي الغرض من تلك المستلثة ، وهو أن تدور الألعاب في
فني وتوغمني على الأكتار من البلع ، بما يمنع أدنى من الاستداد
بسبب التهدير المنبعث من حمار الشغل حين يتفعل



عقلي ويهجم لي عورة السوم لي فطيار الصمد



الكلمة طبعاً في رحلة صيد

وتأكدت من صحة هذا الكلام عندما انقلع الحمام ، وعندما بدا
يبرطلع على أرض المطار قبل تلك القفزة الجامحة التي طارت به في
الهواء مثبتة أنه مهما قيل فهو طائفة . شيئاً فشيئاً يرتفع الحمام
حتى صار النبل السعيد مجرد خطر صغير يتلوى تحتى ، كشريط
ماء سال على أرض الحمام من حنفية تنقصها جلدة ، والمزارع
الخضراء شريط آخر وسط صفرة الصحراء اللامتناهية . منظر
يشرح القلب حتى ولو تعرض الرجل في سبيله للموت على اثر كبحوة
لذلك الحمام الطائر اذا تعثر في سحابة او غيرها .



ما اعرفنى اسمه ... كما بعد ما علمت له التماثيل قالى لنا متون

(٢)

وفي اسوان رايت منظرا اخر كان يجب ان اراه ولو تعرضت
للموت ، ذلك المنظر الذى لايمكنك ان تقدره - مهما اتسع خيالك -
وان لم تره برؤية العين . منظر الرجال الذين - وانا حبس البيت
لكمراة عجوز - يعملون في بناء السد العالى اربعا وعشرين ساعة

وكان يجب ان اذهب الى اسوان لكي اخلص فكرة عن المعيشة في
قرب الكاتراكت . المجرة بسبعة جنبات في الليلة والدفع على
حساب احمد سعيد ' وسريو طري لايد انه من ريش النعام ، ولقوة
قائمة سريعة من قماش أزرق ظننتها منديلا لزوم الرجل العثوف لكن
من ج اناك لي انه لحاف لامديد ا

.. صب اذا غطائي انا ح يغطيك انت ازاي ١٢

لكنه لم يكن بحلجة الى الغطاء لانه قرر ان يتام بالروب الثقيل
بسوة نام وتركني وحدي لكي احاول حل مشكلة اللحاف . هل
الغلي به نصفى الأعلى او نصفى الأسفل ، ام أغلى النصفين
بالتناوب هذا ساعة وذلك ساعة مع ضبط جرس المنبه تحاشيا
لسدود نخل ' وأخيرا قررت ان اضعه فوقى منكورا تحته مثل ثعبان
الريفي كبير ، وهو الحل الذي لم يفلح بسبب نعومة اللحاف
وخفته . إذ أصبح من النوم وانا ارتعد ، يتضح لي ان اللحاف قد



.. قومي البسي البروكة لحسن البرنامج بذلك على الهواء ...

في اليوم . رجال كالنمل يعملون ولا يتوقفون عن العمل أبدا ، وسط
هدير الكراكات واللوارى تحت شمس أسوان الحارقة . الديناميت
يفجر جوانب الجبل الصلب . وعشرات من الكراكات الضخمة تلتقط
الصخور المحملة وتكدسها فوق ظهور السيارات . وهي سيارات
من نوع فريد في ضخامته ، مجانبها يقف اللوري العادي كأنه لعبة
من لعب الأطفال ، حمولتها كما اذكر خمسين طنا . فإذا حل الظلام
اضطجت مئات العصايب التي تحول ليل الجبل الى ثور ، وعلى
ضوئها تهدر الكراكات الهائلة وهي تنهش باستنانها صخور الجبل
كوحوش ماقبل التاريخ ، العمل والعمل والعمل ، والعرق والعرق
والعرق ، وطولة أبال التي تهد الجبال . كان يجب ان ازور اسوان
لكي اهتف من اعناق روجي بارادة الانسان العامل .

وكان يجب ان ازور اسوان لكي ارى النيل كما يجب ان يكون
نيل . النيل للوعر نيل اريفي الحقيقي . مئات الرموس لمئات
الصخور الجوانبية السوداء ، عملاقة سمراء تستحم هناك منذ
عشرين سنة . وحياء النهر الخالد تسيل بيها وحولها في نعومة
وجلال ، متمسكة بها في حنان تحكي لها حكاية مامرت به من قفار
وأدغال

والصمت ان كنت تعرف كيف يكون الصمت وما ظلك تعرف
هنا في القاهرة لا يمكنك ان تجلس على شاطئ النيل بغير صوت
من ملايين أصوات المدينة . ولكنك هناك في اسوان تستطيع ان
تستمع الى صوت النيل وحده . والنيل يتكلم بغير صوت
ماجملة ، ماورعه ذلك الصمت في نيل اسوان



هو - لا تتركه في يدك

هي - لا تتركه في يدك

اشعر بمئات العيون معوية الى ترقبني لتزني كم حبة لحمه

اشعر بالحمى عندما تلمسني اذ واحد من اعضاء البعث

انزلق من فوقى وسقط على الارض ، فالتقطته وأضعه فوقى لكى ينزلق بعد حين من جديد . طول الليل امد يدي فى الظلام والتقطه ، ذات مرة بحثت عنه بجانب السور فلم أجده . فاضلت النور لكى اراه ساقطاً هناك فى آخر الحجرة . الامر الذى لم اجد له تفسيراً سوى ان اكون قد عطست . وانا قائم فطيرت اللحاف !

فلو كان معي دهن لسبكته فى صدري مثل مريضة العيال . ذلك اللحاف الذى تحار فى فهمه العقول . لماذا يجب الرجل المتروك ان يبرد فى الليل ؟ انراه يفضل للبرد على ان يتغطى بلحاف كبير عاوى مثل سائر عباد الله من الطبقة الكادحة ؟

فكان يجب ان اذهب الى اسوان كما ترى لكى احمده لله على نعمة الفقر

(٥)

على المائدة العريضة فى وليمة رسمية . ومن على يسارى يقبل السلجى الفخم بالصحن الكبير المحمل بالطعام . لا يقبل من على يمينى ايذا وانت تعرف اصول الاتيكيت ، وعلى صحته مع الطعام ملقعة وشوكة لزوم نقل شيء من الطعام الى صحنى الخاص . فليست ادري لماذا يستولى على الربح دانما فى تلك اللحظة . اشعر باننى - كمعيب دستوفيسكى - سوف اقوم بالحركة الخاطئة التى تقلب ذلك الصحن الكبير على الارض وتفضحنى فى وسط الناس . ولكننى اتحاسر وانتاول بالشوكة كوساية محشوة مثلاً . ار شريحة لحم . فى نفسى شوق الى اكثر منها ولكننى اخاف ان اتهم بالجشع . وبينما اخذ هذه الكوساية او الشريحة اشعر بوجهي يتورد من الحياء وكاننى ارتكب فعلاً فاضحاً علنياً . خاصة وانا



من الطير

• وقد حدث من صديق السفرحي الجديد . لايفادير ابو لمعة
• انه وقد اكل انا من افة حتمار وكيلونجم وحمامتين محشونتين
• ارض ازر وهو يقصير النبقون على نال سره حتى غلبه
• ذلك بعد . في انا اليه قارب

• ستتكون ده عسما ربه هي انا .



الرجل سحبل -

بسلام .. ده لنا اعلى منه بكثير

صديقك ابو لمعة الاصلى ذو الجلابية الدبلان المعططة . لوجه
العياة تلتع وراء نظارته السمبكة حين يقترب منه السفرحي بذلك
الصحن الكبير . فيمد يديه يريد ان يتناوله منه

- ايه .. هو عيش كل واحد صحن ١٩

ثم يتناول الملعقة والشوكة ويشرع في تحويل محتويات الصحن
الكبير الى صحنه الخاص . ترى هناك تلا كثيرا من الطعام ولكنه
ليس احسن حظا من نلال السد . في لحظات سريعة تراه قد نال

وهكذا لمقتضى أسوان هي أخذ فكرة عن الطوبى التي يأكل بها
أو حلالة مخطئة ، لو أنه حكمى لى عنها بلسانه لطيفته يفسر

(2)

وفي أسوان أخذت لمائدة أخرى ، إذ رأيت من ج جالساً في
الشوكة على النخيل في هيئة حزين اليم ، وأخيراً يده على خذه ينأرد
المصر إلى النيل كأنه يفكر صديقاً خرق منه ساعتين ههنا

- يافنكر لى قصيدة

فجعدت الله على امها جاعت سليمة ، واسعدني ان اشهد سعادة
المخاض عند احد الشعراء ، واحضر مولد إحدى الرباعيات التي
احبها ، تلك الرباعية التي جلس يرويها لي حيث نفعه الله معها
السلامة

كأَمْ اسْتَحْقَقْتُ يَا إِلَهِي فَتَحْتَ الصَّخُورَ
مَلِيقًا مَقُودِهِ وَاللَّهُ مَلِيقٌ هَاتُورِ
يَا بَلِّ اَنَا أَمِنْ حِلَالٍ وَمِنْ خَلْعِكَ
وَلِيهِ مَعْبُودَةٌ عَلَيَا بِسِ الْأُمُورِ
عَمِّي

وتتجنب رفع صوته معشر الشيء

- مقام الشغل: يانيل قر محنت الصغور

سمعت ؟ الحمد لله .. مليون بؤنة والف مليون هاتور . لا موش
صابونة . بؤنة . ماتعرقش شهر بؤنة ؟ والف مليون هاتور
ماتور عوش مسطور .. انت اموش ؟

فبدأ صدرى بهتز بضحك اكتمه لى ازبد من حرج الموقف .
المكالمة كما تعلم ثلاث دقائق لا غير . واهل الشاعر صراحة
مستوى كالمطابق اعجب كيف لم يصل الى القاهرة بدون تبليط

- یا نبیل انا ابن حلال ومن خلفت . جلال . انا ابن حلال
ابن حلال الله مخرب بنت !

كان غريباً ان يفتخر انصار بطله بذلك الصوت المرتفع ،
خصوصاً وان الطول الآخر يبدو انه لا يصدق الأمر . فارتفع
صعقاً بالرغم منى ولم استم الا بعد رغبة من المشايخ

أما الأحفاد ومن خلفت سمعت " ولله مصيبة على بني
الأحور ، صعبية ، يعنى صعبة .. مصيبة عليا . عين لام به
الرب .. أيوه ألف أنت شريكى يا أختي " هو انت الذى كاتب القصيدة

الاوله عبر خربة القنبر

ولعلك بعد هذه العجالة عن رحلة أسوان مقرر معي بأن في
الأسفار كما يقولون سمع فرائد - أو هي خمس ٩

وماعية حلوة كما ترى ، وكان لازماً ان يتصل بالفاهرة فليكونا
 من يطير في حلقه - من يطير في حلقه - من يطير في حلقه
 رايه الطير . فلما تم الاتصال حلقه وشرع يئن القصيد في
 التلغون ملهه شاعرية حاله

— عام استغلت يا غلام في بحث الصقور — وايه ؟

وایستادن ۹

الثنائى المرح فى الأقصر

(١)

حيث جلس بجانبى فى الفورده (وبينيتى كمان) قال لى ص ب
ع - اى صديقى بهجت عثمان
- تبجى نساافر الاقصر ؟

سؤال بسيط سمعته بنصف اذن وانا ارقب شراب كارهوات
اسود يعبر الطريق فقلت

- مانصافوش ليه ؟ اموت فى الاقصر !

وكما قد وصلنا الى حيث يريد بهجت ان ينزل فنزل ، وواصلت
سميرى وقد نسيت كل شىء يتعلق بالموضوع . ومر يومان فاذا
متلفون بين . وبين بهجت دارت المحاوره التالية

هو - خلاص يا عم .. كله تمام !

انا - هو ايه الذى تمام ؟

- التذاكر جاهزة

- تذاكر ايه ؟

- تذاكر السفر

- سفر ايه ؟

- سفر الاقصر

- هو ليه حد مسافر الاقصر ؟

- اه -

٢٨



صورة السائحون ووجدت سحبه مقلدهم فيها فى مقبره رامورادى بموانى السائحين

- ميين -

- لانا وانت ا

واذا به قد تمسك بمواقفتى السريعة على سؤاله الغاير ،
- مسأرحك اقل ماضى فرحت - صحيح امى سخوات من شجرة الى
مصقور ولكن السطر مازال يخيلنى ، قلبي يخفق وقد انبسطت
نامى خريطة خيالية لوادى النيل ، وقطار وهمى ينطلق بى من
قاهرة الى مصر سويف والعميا وقنا - توطنة لان يتوقف اجر الامر -
- ملة حادة معاذرة - امام نضال ضخم لفرع مايسمى بصرة

حرائيق قاسية فلماذا اعرض نفسى لتلك المفامرة الرهيبة لى
مجاهل التاريخ والجغرافيا ؟

لكننى استنجدت بطبيعتى العصفورية الجديدة وتوكلت على
الله . بعد مزيد من الاحراج من بهجت الذى أكد لى انه قد جرب
تلك الرحلة عدة مرات لرجعها لاتزيد عن شكة الابرة . واذا كان
السياح يأتون من اقاصى الارض يزوروا الاقصر . ليس عيبا ان
اعيش واموت اما المصرى (كويم للعنصر) بدون ان ارى الكرنك
والدير البحرى وصورة اله من العنصر . فبيرة نخت ؟ وهناك لى
الاقصر كثير من السياح والسانحات . ابعد على ربك ان يضع لى
طريقى هناك مليونيرة امريكية مفامرة . تفتتها وراء نظارتى نظرة
فرعونية حاملة فتظفر منها بشىء من العملة الصعبة ؟

وهكذا وجدت نفسى فى المحطة اصعد الى عربة النوم بقطار
الصعب . ربما انها اول عربة نوم احرقها فى حياتى فاسمح لى
بكلمة او اثنتين عنها

(٢)

موير تحت وسرير فوق فى حجرة متر فى مترين . والجدران من
الغورمايكا الخضراء اللامعة وبين السرير والدولاب مسافة سمعت
لى بالوقوف فيها لا لشيء الا لانتى لست سيده فى شهرها
التاسع . ورف للحقائب على ارتفاع مترين لى اصل اليه كان لراما
على ان اصعد على السرير الصللى واتشعبط لى العلوى ممسكا
الشفطة باسنائى

وفجأة ماورنى احساس غريب جعلنى الجأ فى محاولة تقسيمه
الى بهجت

- احنا شربنا ما به لى استراحة المحطة ؟

- قهوة

- ملاك انى ماشوبتش ويسكى ؟

- طبعا

ولا براندى ؟

طبعا

امال باتطوح ليه ؟

لسمب بسيط جدا . ان القطر مشى .

مارتحت وقد فهمت . وبحث عن شىء استقر عليه فلم اجد
السرير الذى تحت . والذى جلست عليه محتيا راسى لكيلا
محتضر بين قضبان السرير الذى فوق . وفى جلستى لا ابرح
انما لى الى الامام والخلف كاننى اركب جملا لا قطارا

فاخرجت كتابا لاقرأه فأتضح لى ان هذا امر شبه مستحيل
ذلك الاهتزاز . ان اثبت عيني على السطر الاول فسرعان ما
من نفسها - الى السطر الاخير . يعنى انه لا جلوس
مستريح ولا قراءة فى هذه الحجرة التى تبدو ان المهندس قد
صممها وفقا للمعنى الحرفى لحجرة النوم . اى انها الحجرة التى لا
تدور لك فيها ان تقف او تجلس او تقرا او تمشى او تصنع اى
شئ سوى ان تنام . فلو انه بهذه العقليية صمم حجرة للجلوس
لكن الظن انه لن يزودها بكنبة مخافة ان تستعملها فى النوم . او
مخافة ان تستعملها فى الطعام .

مقلت لروحي انام . وعند ذلك فقط تبينت انه حتى النوم - الذى
اجله صنعت الحجرة يعد أيضا من رابع المستحيلات .

سبح عجالات القطار بصم الأذان . والسرير يهتز بى كاننى لى
الحجرة . وذلك الاهتزاز الذى يشتم أحيانا الى الدرجة التى يخل
بى فى جهاز للطرد المركزى . ومن الاهتزاز اشعر بكبدى
بطلع معدتى ومعدتى تنطح طعالي . وبمصاصينى كلها تتلوى
وشك ان تتلعبك مثلما يتلعبك رباط الحذاء . قلبى نفسه غير
وصفه عدة مرات . مرة سمعته يدق فى جانبيه الايمن . ومرة
درى فى أعماق بطنى السفلى غير بعيد عن المثانة .

حتى بدون هذا الاهتزاز كان النوم مستحيلا . فكيف امام وليس

راسي مخدة ؟ نعم أن هناك شيئا لمي صورة مخدة . ولكنه
الى كبري مخدة منه الى مخدة . كبري فارغ الا مما لا يمكن
يد على أوقيتين من مادة قد تكون قطنيا ولد لا تكون . مخدة
تلك لزما على لكي استخدمها أن أطويها عدة مرات مثلما
منديل اليد . وحتى بعد انتهائي من طبها وحدثها لا تزيد في
مناح على المنديل المذكور . فلابد أنه كانت هناك أزمة قطن
استعملوا هذه المخدات لعربة النوم . وهو بالطبع امر غريب لم
محصولها الأول القطن . فليست أشك في أن الرجل الذي نولي
هذه العملية ينظم في هذه اللحظة على مخدة أعلى من المعتاد

اعة وراء ساعة وأما أحاول أن انام بغير فائدة . حتى شعرت
سدة العيط أنني أريد أن أسكن . وهنفت في الضلام بصوت

نهجت ! أما عاوز أروح !

للم يجيني بشيء سوى غطيط التثام في سابع مومة . وهو ما لا
ر الى أن العيب في أنا لا في عربة النوم . حين وفيي لما بدأت
وكان ذلك في اللحظة التي طرق الباب فيها طارق يقول أننا قد
ما من الاقصر .

تلك مايا اعرف ما سوف افعل اذا ما اضطريت الى المبيت في
نار مرة أخرى . . سأنام في بيتنا وأروح في النوم . مع تكليف
في لأهل البيت بأن يظلوني قائما الى اللحظة حيث يتعارف عدد
الضيالين على حطري الى عربة النوم وايداعني على السرير
وأغلب الظن أنني - سأكون قد أخذت على سبيل الاحتياط
مورقين

(٢)

نزولنا من القطار انتهت مرحلة الاهتزاز الاقوى وبدأت مرحلة
زاد الراسي . في العربة الخطوط التي نقفنا من اللحظة الى
ثم لمي المعدة التي عمرت بنا النهر الغرس . ثم السيارة

الربلية التي حملتنا الى الفندق وتناخست منا - عبر مسافة لا يمكن ان تزيد على كيلو مترين - خمسة وسبعين قرشا . فسالت بهجت وأنا اهتز :

- احنا رايعين ونتر بالاس ؟ .

- لا . رايعين عبد الرسول بالاس !

فسالته عما يعنى ولكنه تلفع بالغموض ورفض ان يجيب ، تارك اياى اكتشاف الامور شيئا فشيئا

- وهناك عند الحد الفاصل بين خضرة الحقول وصفرة الجبل دخلنا الفندق الصغير لصاحبه الشيخ على عبد الرسول اسمه فندق المرمم نسبة الى مرمم كلية الفنون الجميلة المقام بجانيه ، وهو مرمم يرسل اليه المتفوقون من خريجي الكلية ليفضوا فيه سنة او اكثر كعملة دراسية داخلية

فسالت بهجت فى دهشة :

- يبعثوا المتفوقين هنا ؟ !

- اه .

- غريبة دى .. اول مرة اسمع ان المتفوق عقوبته النفى وفى حديقة الفندق جلست وأنا اطلق من اعماق زفرة ارتياح سعيدا بهذا الكرسي الذى كان اول شىء - منذ ليلة كاملة - اجلس عليه فلا يهتز تحتى . حقول القمح منبسطة امامى الى ما لانهاية شىء يشرح الصدر . وبرياح منعشة تعانثها بين الحين والحين فتموج وتبدو لعينى اشبه ببحر اخضر كبير

لكننى احسست بأن ارتياحى ليس خالصا ، واكتشفت السبب عندما وجدتنى ارقع نفسى بالقلم لاطرد ذبابة لا تريد ان تتلوى ذبابة ثم ذبابتان ثم عشرة . ما اكاد اكف عن النش حتى يغطي وجهى كله بالذباب . فقلت لبهجت هامسا

- يظهر ان اللوكاندة دى مش اد كده

- ده موش من اللوكاندة ، افهمنى ، ده البر الغربى كله كله علشان زراعة القصب

- وليه مانزلناش فى الشرقى ؟

فقال ان البر الشرقى ليس فيه سوى الكريك ، اما هنا فيوجد رادى الملوك والدير البحرى وما يقرب من ثمانمائة مقبرة لبلاء عراقنة . فأسلمت امرى الى الله وتنهيت واما اصلى بنفسى من حديد ثلاثة ايام كاملة وأنا انش الذباب . فى الفندق انش وفى الطريق انش و فوق الجبل انش ، لم تتوقف يدي عن النش لحظة واحدة . طول الوقت اجلس فى ما يشبه مطرا من الذباب . ويدي تروح وتجيء امام عينى كأنها مساحة عربية . فهذا هو السبب الذى من اجله اخترع بهجت الها جديدا اضافته الى الالهة الفرعونية .. الاله نش واخوه فليت ا

فلو انه كان ذبابا من النوع العادى لهان الامر ، ولكنه ذباب من نوع خاص جدا . النوع الانتحارى الذى ترفض الواحدة منه ان تقادر وجهك الاذائنة او مقبولة لا استبعد ان يكون الفراشة لحيثاء قد حققوه معارف ما لزوم الحرب ، لكن يسمعوا العدو بالنش . يفتحوا كرشه . فاذا كانت الذبابة العادية ترم ان تستخدم وجهك كغطاء على الواقف فهذه الذبابة تريد ان تستخدمه كنفذ للاقامة . او حتى كشقة التملك لا الابحار . فاذا انت نظرت الى وجهى وطفنت ان السطر قد افادنى واننى . رادد . شوية فأعلم انك خطىء . انما انا وارم من كثرة ماصفعت نفسى .

اما اهل البلد فقد الفوا الذباب بدوكة جديدة بالتهنئة حقا .. هل صدق اننى قل ان اخاطب الواحد منهم . كنت انش الذباب الذى لى وجهه لكى اعرف هو مين ؟ بل ان بهجت نفسه شجع فى ان يتنادى عليه بصورة لا بأس بها ابدا . فهل تصدق اننى جلست ساعة تحدث الى صاحب الفندق ، حتى تصادف ان نش الذباب عن وجهه فاكشفت اننى كنت احادث بهجت ؟ .

(٤)

فى البر الغربى بالاقصر . وبمنشأة فى يدى لزوم هش الذباب
الاقصرلى . انطلقت الى الجبل لى أخذ فكرة عن الحالة الفنية
والمقائدية عند اجدادى الفراغة

رفقانى فى الرحلة التاريخية هم الرسام بهجت عثمان . وبهجت
اخر هو مهندس ترميم الاثار على بهجت . وسانحة امريكية اسمها
«ببى» . وفنان من الفنانيين فى مرسى الاقصر . لتفوقهم
الدراسى . هو مير اسكندر . وهذا الاخير يتمتع بشىء اتعنى طول
حياتى ان اتتع به ولا احرز . وهو تلك اللحية الكمية الكثيفة
السوداء التى لم تحلق منذ عام كامل على الاقل . هناك فى ذلك
المنفى البعيد حيث تسر مقابلة الأعراب . وحيث تتغير مقاييس
الحمال وفقا للبيئة القياسية الوعرة . لماذا يتعب الاسرار نفسه
بحلق لحيته ؟ فوالله . اقول لنفسى - لاسافير اما الاخر ذات يوم
لكى اقيم فى ذلك المرسى عاما . لمجرد ان استمتع بهذه اللحية
الطويلة فبهذه اللحية لا استبعد ابدا ان يوحى الى - وانا اعبت
فيها بأصابعى فى هيئة تأمل فلسفى - برواية لا تقل فى قيمتها عن
الحرب والاملام التى استلهمها تولستوى ذات يوم من مداعبته
لحيته الخاصة . وقبل ان اغادر لحيته مير اسكندر احب ان اعترف
له بشىء . بانى شككت فى امرها فى البداية وطمنت انها سحابة
جائفة على وجهه من ذباب الاقصر . لم استوثق من انها لحيه الا
عندما نششتها بالمنشأة واكتشفت انها لا تطير

فى الطريق الى وادى الملوك

باسيارة سرىا فى طريق مرصوف حديثا . كالشبان الاسود
يتلوى بين كتل من الجبال الصخرية الشاهقة . المشفقة عن فعل
عوامل التعرية خلال مليون عام . ان قلت لسانحة الامريكية اظن ان

لم جبالا من هذا النوع فى كولورادو . فابستمت ولم تقل شيئا .
التعليق الذى واجهته به معظم ما وجهت اليها من الكلام . على
ما اسمع عن حبى الامريكيين - خصوصا اذا كانوا
عكبات - للثورة . فلعلها متعبة بسبب ما سمعنا انه قد وقع لها
اليوم السابق . ان غامرت بالفروج وحدها للاستكشاف فتاهت
لصحراء وكانت تصاب بضربة شمس . وفقدت الوعي وعادت
محمولة - عبر كيلومتريين - على كتف رجل صعيدى طيب وفى
اوقت نفسه قوى

عام فمرتوت عنخ امون وقتت بدا السيرة . والى جوف الارض
مننا حتى وصلنا الى حجرة خالية وعلى حدرانها نقوش لم تتم .
فى حيلة - كما اخبرنا المهندس على بهجت - كثيرا ما لجأ
. اعنة اليها بقصد تضليل لصووص المقابر . هم يتركون تلك
حجرة فى بداية القبر لى يظن اللصوص انه قبر مهجور بدليل انه
يتم . فينصرفوا غير عالمين ان القبر الحقيقى كلن وراء هذه
حجرة او تحتها . وان ثمة بابا سرىا كان يمكنهم ان يهدوا اليه لو
هم جشموا انفسهم مشقة التنقيش . فاللصوص كما ترى قديمون
دا فى التاريخ . طول الوقت يوجدون حيث يوجد الملوك .

من فندق عبد الرسول بالاس

هناك يرقد المرحوم ثوت عنخ امون . فى جوف التابوت
الصنوع من الذهب النفيس . وهو تابوت قصير نوعا بسبب ان
راجل قد رحل وهو دون الخامسة عشرة من عمره . منذ الفى سنة
هو ينام تلك النومة . ترى هل خطر له انه فى ذات يوم سوف يتفرغ
بوظيفة واحدة هى تنشيط السياحة وتزويد البلاد بالعملة الصعبة ؟
الا بالطبع . فقد كان يظن ان الهة احكم من ذلك . واسهم سيقفلون
. سعادة امدية فى قبره الملكى وسط نقاش الكنوز التى دفنت معه
فى ذلك القبر

احوش المبلغ كله - يكون قد جاوز السبعين ! منطق معقول
للسائح الفقير . وهو ما يشير سؤالا آخر هو اين السائح

متأكد انه ما نعيميش ؟

بمات يس . وتنهت أنا فى صمت حيث واصلنا سيرنا الى
الناى وهو مقبرة الملك سيتى الأول . وهناك وقفنا ساعة
للقوش البارزة التى تغطى كل مليمتر من الحدران
جدران المقبرة العجيبة المحفورة فى الصخر فى حروف
والسقف هو الآخر تحفة من تحف الفن . بالرسوم التى
تلا من سماء الدنيا وسماء الآخرة . بها فيهما من نجوم
والبراج فى هيئة حيوانات فانتازيا من الالوان لاشد أنها
كعبة بان نرسل حمرة الخجل الى وجه ما يكل اسحو نفسه .

(٦)

نقلت لرفقانى وأنا مذهول من تلك الروعة الفنية . ليس من
ريب أن يبلغ الانسان الفرعونى تلك الذروة من فنون الرسم
البحر والمعمار . وفى الوقت نفسه يدين بكل تلك الخزعات
البريقية التى نعرلها عنه . فوافقتى بهجت الأول وعارضنى
الثانى ، قائلا لى - فى تحيز طبيعى للفراغة الذين يدفعون
أهيت - أن هذا الذى أسميه خزعات كان بدوره نصرا كبيرا
فر الفرعونى الذى أمكنه فى فجر العقل البشرى أن يبتدع هذا
سبح المعقد من التصورات عن الآلهة وعن خلق الكون وعن
روح وما يحدث لها بعد أن يموت صاحبها . فاعتزمت له بأن فى
به كثيرا من الصدق . الا أنه يتسى بالطبع أن هذا التسميح
فاندى ليس من ابتداء هؤلاء الفراغة أصحاب هذه الآثار .
ما هو مجرد تنويع على اللحن العفائدى للعصر الطوطمى الذى
تدون أن يترك من آثاره شيئا . لمقبل الفراغة الذين عثرنا على

من قبر توت عنخ امون خرجنا الى النور والذباب . مع تسجيل
اعترافى بالحمل للسيدة الامريكية التى تصاحبنا . والتى سحت
لى تقسيم الذباب بينى وبينها . بشرتها الامريكية فيما يبدو قد
طابت لذلك الذباب اللعين أكثر من بشرتى . إذ سرما فى الشمس
الحارقة ورايت السيدة ترفع جريدة تحمى بها رأسها فقلت لها
- نعيميش ؟

فقلت نو . ولا ادري لماذا غاظنى قولها . فلعله أمل يتلاعب فى
عقلى الباطن ويمينى بأن تدوخ فأحملها كما حملها الرجل
الصعيدى امس . حقا أن عمرها لا يمكن أن يقل عن أربعين سنة .
ولكنى بالطبع لا ارمى الى شيء سوى أن أقدم لها خدمة سياحية
أرفع بها - عن طريق رفع السيدة - رأس بلدى . وحقا أن الرجل
الصعيدى قد تولى هذه العملية قبلى . لكنه رجل عامل فقير . ربما
ظننت السيدة انه ما قام بهذه الخدمة الا طمعا فى البقيش . اما
إذا قام بالمهمة رجل متقف مثلى فهذا شيء آخر . شيء يدل على
الشهامة المتفشية فى الشعب المصرى باختلاف طبقاته . من
عمال الى فلاحين الى متقنين

ثم أن السيدة وأن كانت فى الأربعين الا انها بدت وسط سائر
السياح الموجودين فى المنطقة أشبه بمرافقة صغيرة ! فلمست
ادرى ما السبب فى أن تسعين فى المائة من السياح شيوخ
وعواجز قد وهن العظم منهم ومنهن . لا أستبعد أبدا أن بعضهم
ما حضر من بلاده الا لى يسترجع مشاهد التاريخ التى حضرها
ذات يوم فى صباه على الطبيعة !!

لماذا لا يقبل على السياحة الا العواجز ؟ سؤال اجاب عنه
المهندس على بهجت بأن هذا شيء طبيعى جدا . إذ أن السائح
الذى يحلم طول عمره بزيارة ارض الفراغة . والذى يدخر كل عام
مبلغا من المال لى يحقق به هذا الحلم . ليس غريبا أنه - على بال

اثارها كان يعيش على ضفاف النيل انسان بدائي آخر يقدر
الحيوانات ويؤلفها ويسترضيها بالقرابين . شأنه شأن الانسان
البدائي الذي على ضفاف الفرات ، والذي مازال يعيش حتى يومنا
هذا في استراليا وادريقيا وامريكا في شتى محضعات متخلفة من
هذا الانسان البدائي استقى الانسان الآخر الفرعوني . الذي صنع
المعصرة وحقق هذه الطفرة الفذة في مجالات الفن والعلم . فلماذا
عجز هذا الانسان عن تحقيق طفرة جذرية مماثلة في مجال الفكر
والعقيدة . ولماذا احتفظ بنفس العقلية الطوطمية معتلة في آلهة
من الثعالب والقر والصقور والثعابين ؟

(٧)

ومن مقبرة سنبتى خرجنا قاصدين الى الدبر المحرق ، والدبر
المحرق ان كنت لاتعلم من مخلفات السيدة حتشبسوت . وفي هذا
المعبد ترى مجموعة من الحدران الشاهقة التي يبلغ عرضها مئات
من الامتار ، وعليها من تحت الى فوق رسوم ونقوش تحكي القصة
الحقيقية التي لفتتها المرحومة لكي تنتزع العرش من تحتمس
الثالث . وهي قصة العلاقة بين الاله امون وبين السيدة والدة
المسماة بأحمس (وهو اسم مشترك مثل احسان وعصمت ورجاء)
كيف تسئل الاله الخبيث الى قصر السيد الملك مخطئا لنفسه شئ
زوجها . ليستغل الحراس في اغلب الظن . وهناك في مخدع
السيدة كشف لها عن شخصيته الحقيقية . لهفت تقول ما احلى
ان استملي وجهك وما احلى ان تضمنني اليك ؟ قلم يكتب المذكور
خيبرا . ولم يغادر المخدع الا بعد ان وضع فيها بذرة الهبة للجنة
التي اخفأ لها اسم حتشبسوت . والتي ستكون ذات جمال لامثيل
له بين الالهة . ولتصبح ملكة على القطرين تقود الرجال في هذه
البلاد .

بهذه القصة نجحت حتشبسوت في ان تقنع الناس بعقها
الاهي في عرش مصر . ولعله من طريف ما يذكر عنها انها في نهاية
الامر يمكنها ان تحكم البلاد بوصفها سيدة . بل رأت ان تحكمها
بسمها رجلا . فتزيت بزي الرجال وأطلقت لحيته مثل متبر
اسودر - اعنى بالطبع ركبت لنفسها لحية مستعارة !

هم من السيدة ومن العلاقات الالهية المريبة لوالدتها . تلك
الرسوم المذهلة التي تغطي تلك المساحات الشاسعة من الجدران .
والتي لم تفقد روعتها رغم انها ياهتة ومطمومة في كثير من
وااسمها بقعل كل من الزمن وتحتمس الثالث . اذ انه ما كادت
السيدة تموت حتى اسرع الى جدرانها وهات ياشخطة في الرسوم
التي يحو من الوجود كل شئ يتعلق بسيرة غريبتها العتية
وطلعت الى تلك الرسوم الباهتة وقلت ليهجت الرسام
وش عندهم في مصلحة الآثار خريطة تفصيلية للرسوم

..... اه عرضت عليه تلك الفكرة الجريئة : لماذا لا يستاذن
الملك ثم يحضر هو وعدد من زملائه الرسامين وفي ايديهم
الوان . فيعكفون على تلوين تلك الرسوم الباهتة وردها الى
حالتها الاصلية وفقا للخريطة ؟ فلست اشك في انه لو اشتعلت تلك
تلك الالوان لوجدنا امامنا اضخم كرنفال لوني على

..... اعجبت بهجت . فلا شك انه سيطلع منها بقرشين
والاصافة الى دخول اسمه الى الابد في التاريخ
اما متبر اسكندر فما كاد يسمع هذا الرأي حتى ترامت
..... نظرة غريبة اشد سوادا من لحيته التي اخذت تحتلح
..... نظرة كراهية واؤدراء يوجهها نحوى . الامر الذي جعلني
..... من وحولي لارى من ذلك الشخص الذي يكره فلم اجد
..... ولهممت من كلامه - عندما استطاع ان يطلق - ان
الذي ادليت به لا يوضح عن كونه كفرا صريحا ومبينا .

وأنه لأعاش الفنان الذي يحرق أن يعد به التعديل اللازمة إلى ما بقي
من آثار الفراغة الامجاد . مثل هذا العار يجب أن تقطع يده القوي
لكي يعيش معذبا بدون يد . وبعد عام من هذا العذاب تقطع رقبته
أيضا . وبينما هو يصعد ذلك الغضب على العمار كانت تطون تقول
أنه يصعد على أنا الآخر لأجتري على قول ما قلت . فحريكت
منشئي أمام وجهه مرتين . فأكثت من جديد أنها الحية لأرياب
وأمام الدبر البحري وجدنا مهرجانا سيديسيا عسريا . مكوبا من
راقصى والمصات فرقة رضا . الذين يمثلون فيلما أمام العبد
ومن مكر الصوت يبعث صوت كويس من النبات يندس فأنلات
نوت . حشيشوت . نعمتي ياروحى في قلبى تأبوت . وكلمات
أخرى من هذا النوع الذي نزل على دماغى . فى هذا الأثر من
الحلال التايحى - نزول جردل الماء الساقع . موالة لو أن
حشيشوت تتيأت بهذا التهوى من أحاديها لأفنت أبا اليوم ندى
تسلل أمون فيه إلى مخدع أمها .

(٨)

فى الشمس الحارقة وأصلها رجليا محو نوع حديد من المقاس
هو مقابر النلاء . إذ التفت نحو السانحة الأمريكية التى مارحت
تضم الحريدة فوق رأسها وقلت أسألها
- لسه برصه ماتفتيش .

فصوت على قههاو . وتبعت زاه . صحت إلى مقبرة رجل
سبحه . عمة . قصديا . وألغت من رقبتي أنه كان يشغل مصفا
بضعة حسب دير الحانسة العنكة على أرام قدار رؤس . ففعل هذا
هو المصعب فى شد الزمزم نتي ترون جدا . قنر . التى تقبل
الفلاحين والفلاحات . وهم يرحلون . أقم . عجرة موشة لأن يخصصه
ثم يمسحوا على الحجر . والبعد لوم السماء . است فى حيازة
الأجرة . حتر فى موشة زيريد العرا . يصعب طعانه . يفسد بل

١ - سحر العبد فى العمل . بل وبغافه واحدا منهم - على
لأه قصير فى العمل . وإذا لأعشا صور التيات
ت فى مامية أخرى من القبر فلما يعرف أن الرمل لم يكن
بكل وبشره فحضر

٢ - حبا من هذه المقبرة إلى مقبرة نبيل آخر يدعى . نحت .
أبنا عدة رسوم من أحمل وأشهر الرسوم ابرعوية . صورة
٣ - الت الثلاث . واحدة تدعى أوتار القيثارة والثانية أوتار العود .
٤ - سفح فى الناي . والثلاث أجمل من بعضهن . خصوصا
على التى نسبت أن تلمس هودها . والصورة الثانية لثلاث -
٥ - فتيك . واحدة تقدم للآخرى فأكهة ما لكى تقضم منها
والثالثة تضم زهرة اللوش . وعن قرب منهما فتاف يبدو أنها
فرعونية والأفنادا هى شبه عادية . فى رشافة تحجر إلى
ورفع . راعها الذى يكتشف عن نهج جميل . تعد يدها لكى
موطا فى ابن واحدة من ثلاث حميلات أخريات . فهذا
- سى نحت - لم يكن يموى فيما يبدو أن يصيب أى وقت فى
٦ - تصاحبه . صة .

٧ - لاحظت أن وجه السيد نحت مطموس فى كثير من الصور
٨ - من أن ماقى جسده سليم . ومسؤولى عن السبب عرفت أنها
تسوية مقصودة من أعدائه الذين اقتحموا المقبرة بعد
فلوحيه عند الفراغة هو مقفل الروح . وإذا است شوهته فى
٩ - تكون قد خربت بيته وكنت أن تلعبه نهائيا من الحياة
١٠ - فكرة صديانية بالطبع ولكنها ليست مستغربة إذا نحن
لأعسا . ليس يعيش بينما اليوم من يؤمن بأنه يستطيع أن
١١ - نحوه عن تفريق أحراق صورته وتخزيق عيها . كما يوجد بين
والحجر من يتوسل للأبذاء بالفتك فى القدر .

ثلاثة الاف عام . ويدهشنى اكثر انها لم تتسبب فى اى نوع من الدوخان للصائحة الامريكية . من وادى الملوك الى الدير البحرى الى الريمسيوم وهى ترفض ان تدوخ فاحملها او حتى تترجح . اسندها ، لاكسب فيها بعض الثواب من الناحية السياحية . ولاهى سميت بان تدوخ عندما تابعك إشارة بهجت نحو الرسم المحفور فى الجرانيت لاله التناسل « مين » . كل ما فعلته هو ان اشاحت وجهها - متوردا - وتشاغلت بطرد موجة وهمية من الذئب . فقلت لنفسى معلش لسه قدامنا الكرك .

وعبرنا النيل الى البر الشرقى حيث صرنا - بهجت وانا والصائحة والرسامة جاذبية سوى ومنير اسكندر ذو اللحية السوداء - فى طريق الكباش الشهير متجهين الى معبد الكرك . وبإحسانه لن اصفه لك وصفا كاملا ان احتاج فى ذلك الى مالا يقل عن مائة مسلحة . حسبك ان تتخيل ان مئات الاعمدة الضخمة الشاهقة ، ومئات التماثيل ذات الاحجام الخرافية : والمسلات والجدران المسجل عليها بالرسم تاريخ مئات المعارك والغزوات ، والنوابات العديدة التى جعلت الشاعر اليونانى هومر يسميها بالمدينة ذات الانجاب . وفيما جعلت العرب يسعونها - لروعتها - مدينة القصور لك التسمية التى حرقت على مر الزمان الى الاقصر . مصر تحت ظلال الفراغة للاستاذ محمد صابر .

ومن بين الصخور الملقاة على الارض تثبت حلفاء كثيفة اشارت لىها الرسامة جاذبية وحذرنا من الخوض فيها مخافة الثعابين . الت كلمتها باللغة العربية فرايت ان اسهر الفرصة لتقديم خدمة سياحية . وترجمتها لى بالانجليزية :

- فيه هيا تعابين !

- اوه !

- تعابين كتير ، قوى !

- اوه !

- ويتقرص كمان !

من هذه المقبرة الجميلة خرجنا من جديد الى شمس الظهيرة التى اصبحت كالنار . واننى نحول المنطقة فى الصيف كما يقولون الى جحيم صرف . فليست ادرك لماذا اختار فراغة الاسرات المتأخرة هذا المكان عاصمة لهم . وكيف استطاعوا ان يحققوا فى هذا التحيم كل هذه المعجزات الفنية والهندسية وهم يتصببون عرقا . وليعة بشوية لهذه الافواج من الذباب ؟ فاغلب الظن ان الدنيا لم تكن بهذه الحرارة فى تلك الايام غير معقول عندى ان يدفن الفرعون الكبير نفسه فى هذا الفرن بلا مناسبة واصحة . مبيما انا اهوى على وجهى استجلانا للهواء وطردنا للذباب التفت من جديد الى السيدة الامريكية - اظن موش معقول تكوى ماتمبتيش .

فقلت نو

- فى الحر ده كله موش تعبانه !

- موش حاسة باى اعراض دوخان ؟

فانصرت على قولها نو . وهو مادلتنى على انه قد فانتتنى الى الابد فرصة الخدمة السياحية التى اقدمها الى بلادى .

الشمس الساخنة تسفع صلعة رمسيس الثانى . من أعلى رأس الحرائيتية التى تبلغ فى ضخامتها حجم قبل كبير . والملقاء على الارض وسط سائر أعضاء التمثال المحطم ، الذى لانك انه كان رهيبا حيث وقف كالقدر يتصدر معبد الريمسيوم .

اذن التمثال وحدها طولها متر . وارتفاعه وفقا لتقدير العلماء كان ١٩ مترا . ووزنه يابلاش - ألف طن ! فلاشك ان البلاد به بناء هذا التمثال ظلت مدة طويلة تعاني أزمة فى الجرانيت شمس ساخنة يدهشنى امها لم تصهر ذلك التمثال على مر الك

- أوه !

- يس

- آمال ما بتدوخيش ليه ؟

- أوه نو

والصمت العميق عند البحيرة المقدسة ، ٨٠ × ١٢٠ مترا ،
التي طفت عليها ذات يوم قوارب مزركشة تحمل تماثيل الآلهة وسط
أنوار المشاعل ليلا . في الاحتفالات الدينية التي تمثل فيها قصص
وقصص عن أحزان إيزيس ، وثمة سلطنة مسحورة لا تروح حتى
يوما هذا - هكذا يشيع الضغينة - تطوف فجأة على سطح البحيرة
وهي محملة بالذهب ، السعيد من تصادف وجوده هناك وقتها
وامكنه أن يتصل إليها ليظهر بسبكة ذهبية تعبه مدى الحياة ،
خصوصا إذا نسي أن يشير إليها في إقراره الخاص بضريرة
الإيراد .

على شاطئه البحيرة وقفت أجمل النظر بيننا وبين المسلات
والتماثيل والأعمدة ، مفتونا أقول لنفسى سبحان الله . أى غرام
كان يجذب أولئك العراة الى تلك الضخامة الرهيبة ، الف طن من
الجرانيت لتعثال ومسييس ، وكم الف فى أبو سمبل وكم الف فى
أهرام الجيزة الثلاثة . لماذا كل هذا الولع بالضخامة ؟
وباعرابى عن هذا الخاطر ليهجت قال أن الضخامة وإن كانت
غير مطلوبة فى ذاتها فهي فى النهاية تعطى احساسا اكيدا
بالجلال ، وهى على أى حال أقرب الى روح الفن من الظاهرة
المتفشية فى عصرنا الحديث كبديل للضخامة ظاهرة الاسراف فى
الكلم فى انتاجنا الفنى

فتفكرت فى الامر حيننا نوطلة لأن أقول

- هاها .

ونظرت الى المياه المقدسة الالامعة التي عكست أربع صور
متراسة لنا ، واختلست النظر الى السائحة قائلا لنفسى انقهاش ؟
فلو أنها سقطت فى الماء لاتيح لى أن أظهر الشهامة المصرية

الفخر وراها لانقاذها ، ولكسبت بذلك بعض ما لنشد من الثواب
السياسي . نعم لماذا لا ادفعها الى الماء ما دامت لا تريد أن
تخرج ، لكنها سرعان ما ابتعدت عن الشاطئ . قرأت أفكارى فى
أعاب الظن .

وفى طريقنا الى الخارج - وأنا امير متحاشيا وطه الحلقاء -
حطوت لى فكتة رايت أن اغامر بقولها
- غريبة أن التعابين هنا موش فى المحلة .
- المحلة ! اشعنى المحلة ؟
- مش المحلة الكوبرا ؟

وانظرت أن يضجكرا لكن احدا لم يضحك وهو مايدك على
سخافة النكت اللغزية

- تيجى ايه التعابين - قال منير اسكندرو - جنب العقارب !
ودوى لنا كيف تهجم العقارب على الاقتصار فى فصل الصيف ،
حتى أنه يقتل فى الليلة الواحدة ما لا يقل عن عشر عقارب ، فاقشعر
لى وبدأت اراجع نفسى فى امر العام الذى افكر أن اقضيه فى
سم الفنون لكى أستمتع باطلاق لحيتى . فهل يرصيك أن أصحو
ات صباح لكى اداعب لحيتى فتطلع يدي متها وفيها عقوبة ؟
وعلى مائدة العشاء فى فندق عبد الرسول بالاس . بينما أنا
مغمص فخذ حمامة لذيدة خطر لى أنه قد حان الوقت لكى
استكمل معلوماتى عن الفن الفرعونى . لماذا مثلا يصور الفنان
الفرعونى على أن يرسم بروفيل الوجه بدلا من رسمه من الامام ؟
لماذا يصور مع البروفيل على أن يرسم الصدر مستعرضا ؟ ولماذا
يسم العين فى وسط البروفيل بدلا من مكانها الطبيعي ، وكيف
يح للالوان التي رسم صورة بها أن تبقى بهذه الزوغة حتى الآن ؟
وق كل ذلك كيف رصى هذا الفنان لنفسه بأن يرسم كل تلك
الروائع دون أن يوقع باسمه على أى واحدة منها ؟

مالمعد ده انتنى كنت محاطا بثلاثة من الرسامين - جادبية
بعجت وذو اللحية السوداء - إذ عرفت منهم الآتى ذكره

بالنسبة للألوان لم يكن الفنان الفرعوني يرسم بالألوان الكيميائية مثلما ، واسما بالألوان الطبيعية التي يحصل عليها من الحبل في شكل صخور وأتربة حمراء وخضراء وزرقاء وعلى كل لون تلك الألوان الموجودة في الطبيعة منذ الأزل . ما الذي يمنعها من أن تبقى ثابتة في الصورة إلى الأبد ؟

أما عن بروفيل الوجه والصدر المستعرض فقد اختلفت الآراء نوعاً . وإن اتفقت في النهاية على أن الفنان الفرعوني كان لا يستهدف في رسومه شيئا سوى الجمال ولو كان ذلك على حساب المنطق والواقع . فلعله رأى أن بروفيل الوجه أجمل من الوجه نفسه . وإن الصدر المستعرض ووضعه الساقين هو الآخر جميل بالرغم من مخالفتها لوقفه الإنسان الطبيعية . وكذلك الحال في العين التي يرسمها حيث يترأى له أنها جميلة . فهو ليس عجزاً من الفنان الفرعوني عن محاكاة الطبيعة ، ولا لماذا لم يبد هذا العجز في صنعه للتماثيل التي رأى في نحتها أقسى درجات المنطق والواقعية ؟

أما عن عدم توقيع الفنان على رسومه فذلك يرجع إلى أن الفن الفرعوني كان مدفوعاً على الدوام بالطابع الديني ، وفي مثل هذه الظروف جدير بشخصية الفنان الفرد أن تذوب في الشخصية العامة لفن عصره .

وقالوا لي كلاماً آخر سمعته بنصف أذن . وذلك لانتشالي بعصمصة العظام وشلط النخاع من جوف الساق الأخيرة للحمامة

والى حديقة الفندق انتقلنا لنهضم ونتفلسف ، نصمات الليل الرطبة نفت آخر احتمالات الخدمة السياحية التي أريد أن أؤديها عن طريق دوخان السائحة ، وأدار منير أسكندر جهاز التسجيل فانبعث منه صوت مطرب الصعيد ، أبو إيلة ، يا غنية صعيدية حزينه .

من الفلس باداري بكى ... وما دام ظلموكي وضربوكي

حرم علينا دار بوكي !

وهناك عند الأفق الشرقي عبر الحقول الفسيحة أطل قرص القمر أحبا مستديرا . نفس القمر الذي سطع منذ آلاف السنين على مسيس وحشيشوس والتبيل نخت والعازقات الثلاث . فأحسست جأة بأنني أنسلخ عن جلدي وأتحول إلى ذلك الرجل نخت ، ضطجعا على الأريكة أشرب البيرة التي علمني كيف اصنعها أوزيريس . وأمامي تقوم العازقات الثلاث بالرقص والغناء . نعم انني بنيت مقبرتي وحيات نفسي للموت ، لكنني أعرف انني يجب تبيل ذلك أن استمتع بالحياة

وبينما تعزف على العندولين تقدمت مني في دلال فرعوني مسكر ، البنت الوسطى السمراء التي لا أعرف لماذا يميل إلى أن اسمها نفر ، والتي لا تلبس من صنوف الشباب سوى حزام لا أدرى ما انتفاعها به . اللهم الا اذا كانت تثبت ثوبا أشد شفاعية مما ينبغي لأنني حتى ولو كانت في الأوبرج . يدلال تعزف وتتمايل وتفتني . فتشدد أغنيتها وهي تذيب قلبي بنظرة فائتة زرقاء . أنا أختك الأولى ... أنا لك كالحديقة التي غرست فيها الأزهار ..

فانتهد وأجرع البيرة في انتظار المزيد

لما تهب ريح الشمال رطيباً ... في المكان الجميل الذي أصير

فيه ويدي في يدك ... قلبي يفيض سرورا

فبعد ذلك أصرخ من الأعماق قائلاً يا وعدى ! أعد والنبي أعد ! يا فرعوني يا حلو أنت !

فتعبد لتسكرني ، ثم تسترسل مفشدة

وإن سماع صوتك يسكرني ... وإنني أعيش لكي أصعبه

وعندما أراك يكون ذلك أشهى من الطعام والشراب

فأهتف من جديد يا وعدى ، والتي على الأرض من فرط النشوة ما يتصادف أن يكون على دماغى من غطاء فرعوني

- صوت اليمامة يتحدث الى في المحر ... ليس في نيتك الخروج ؟ لا ايها اليمامة لقد وجدت اخي في فراشه ... اني اسيرة حبك ... قبلتك وحدها هي التي تمنع الحياة في قلبي .. وعندما اتالها سادعو آمون ان يحفظها الى الابد

فاهتف بصبر ديك يا آمون ! وارلص بقدمي برمبل البيرة لكي ينسكب على الارض ويسكر النبات والحشرات وكل شيء حي . ثم اقوم مترنحا لكي اضم الفتاة فتصدني بالماندولين وتواصل الغناء وثمة نظرة في عينيها فرعونية مألوفة
- كل ما يريد قلبي هو ان استولى على كل اثارك كسيدة لعنزاك وذراعي في ذراعك !

يابنت الذين ! هي وصلت لاثاث منزلي ! يا اخي جك قطع ذراعك ! واعقب لنفسى وقد تكتشفت لى مواياها الحبيثة . وارتد من طوري الى كاتب هذه السطور . الا ما اتمس ذلك الجشع الازلي الذي يملأ نفوس النساء . وما اتمس ذلك العنصر الاقتصادي الذي ما برج طوال التاريخ يتدخل في الحب بالاقتصاد . ويعود الصوت صوت ابو ليلة . في اغنيته الصعبدية الحزينة . وتتأهب السانحة الامريكية وتنهض متجهة الى حجرتها وانا في انهما اصبح :

- اذا داخت بالليل اندهوا لى اشيلها !

ويرتفع القمر في سماء الاقصر فضيا لامعا ينمكس ضوءه في جلال على تدلى ممنون الجالسين منذ الازل يحوسان حقول القمح . فاتصعب واتنهد وأعجب من نفسى ايام زمان . وعندما كنت انفر من الفراغة وابغضهم واخشاهم . متأثرا بما قاله لى مدرس الدين من عبادتهم للاوثان وعن ايدائهم لكل من موسى ويوسف . وبما اقرا في الصحف عن لعنتهم التي تصيب الابد . فكان لزاما على ان اقرا تاريخهم بنفسى . وان اقرا تاريخ الاديان المختلفة كيف تشأت وكيف تطورت . وذلك لكي اكتشف مدى الدين الذي تحمله البشرية في عنقها لاحدادي العظام . فالتوحيد نفسه

صمغ اخناتون قبل ان يقول موسى كلمته . اذ شق موسى النهر . ساء لكي ينقذ اسرائيل من بطش فرعون . ما اشك في انه لو كان بما يضمروته لتزداد قبل ان يشق النهر او لشقه وعبر وحده
ياهم يفرقون !
لعبد لآمون والمعارفات الثلاث ووداعا يا ارض الاحداد !

فى سفينة نوح

بين النوم واليقظة ساورنى شعور غريب بأن السرير يتأرجح
بى ، وأن جدران الحجرة نفسها تتمايل ، ومستبعدا فكرة أن يكون
طوح المجارى بمنطقة الهرم - حيث أقيم - قد تحول إلى بحر تطلو
على سطحه المبوت كالسفن ، تذكرت فجأة أنني فى سفينة حقيقية
قضيت فيها ليلتى ضمن الرحلة التى نظمتها جمعية الأدباء إلى
البحر الأحمر ، السفينة عابدة ٢ بقيادة مرشد علام
سرير فوئى يضم رجاء النقاش ، وسرير بامتداد سريرى يضم
محمد صبرى ، لو أننا أطول بعض الشيء - صبرى وأنا - لامتدت
ساقاى فى سريريه وامتدت ساقاه فى سريرى ، ولوجدنا نفسينا ننام
خلف خلأف ، وفوق صبرى سرير رابع يضم بهجت عثمان ، وشخيره
المتقطع أيقاعا لا بأس به للدوى العتو! صل لمونور السفينة ، وذراع
منه - من بهجت لا المونور - تتدلى من السرير وتكاد تلامس صلعة
صبرى ، وموقفنا كله أشبه بصورة كاريكاتير بريشة الرسام النائم
لاشك أن السرير العلوى أحسن من السفلى ، ولكن الأخير أنسب
لرحل مثلى ينهض فى الليل عدة مرات لكى يدعيس فى الظلام
على زجاجة نقط الأنف أو على المنديل أو على صمغارة يسلى بها
نومه

وضوء عود الكبريت يقول لى أن الساعة الخامسة والنصف ،
فلأنهض سريعا قبل أن تتحرك السفينة من رصيف ميناء السويس
وقبل ذلك بالطبع يجب أن اغسل وجهى .

(٢)

الحنفية خسرانة ولا ايه ؟ لماذا افتحتها فينزل الماء ، ثم أرفع
عنها يدى فتنتقل وجدها وينقطع الماء ؟ كلا هى ليست تالفة ، بل



الرجل الجميل

شاهد القمر ما نفسى !!

يعنى بأن هـ أرغى هـ الصابونة بيد واحدة فقط هـ فتطلع رغوة هائلة
وحس بها وجهي والاسم اننى غسلته هـ لكنها معها كانت احسن من
ينفذ الماء من خزانات السفينة ونضطر الى أن نشرب من

ومن خلفي سمعت صوت اصطدام شيء بشيء آخر اصلد
هـ والتفت لأرى محمد صبرى وقد وضع يده على رأسه الذى
نظم يسرير بهجت أش محاولة مفاجئة للنهوض هـ فلعله داخ من
حصمة والا فلماذا انطرح ثانيا وعاد النوم ؟

هواه البحر وطب منعش هـ انعمنى والله حيث وقعت وحدى على
سطح السفينة هـ لنا وعدد من البحارة الذين يلتقون بالخيال الى لنش
هـ مقدمة السفينة وآخر عند مؤخرتها هـ وهما اللشمان اللذان
يجذبان السفينة مبتعدين بها عن الرصيف هـ إذ أنها لا تستطيع
تعتمد على محركاتها فى هذا الحوض الضيق هـ
عشرة عمال لاغير يتولون تحريك هذه الكتلة الضخمة بكل ما
بها من ناس فيام هـ فيورك فى اليد العاملة وفى الناس الذين
سمحت مثلنا بدرى

فى هدوء ورشاقة وناقة تتعد عابدة عن رصيف الميناء هـ خيل
لى لشدة انقائها أنها تتفتح فى كبرياء هـ والكلى فيام الا انا هـ ما
نت اعرف أن نوم الادباء ثقل بهذه الدوحة هـ فحذيرى فى اللبلة
هـ لكى ابدو فى الصورة الادبية الملائمة هـ ان أخذ قرصين
الليبريام هـ

وأخيرا خرجت عابدة ٣ من الحوض الضيق هـ فشغلت محركاتها
بدايات تمخر هـ كما يقولون هـ عباب البحر

(٤)

الحرسون الاسمر عم عبدالعزيز يطفى بخبطة من الحديد فرسا
هـ النحاس هـ هو هـ الجونج هـ الذى يعطى الركاب ساعة الإفطار
ملت لنفسى اننى مدمت أول الصالحين فلا بد اننى ساكن أول



منى السارد للترشاد ... طيب والسبح لله من سكة السيدة لرب

أنها فى أغلب الظن حيلة متعددة لارغام الركاب على الاقتصاد فى
العام هـ وهى والله فكرة لا بأس بها أبدا هـ فليتهم يطبقونها فى
حافيات المنارل بالمدن هـ هذا وإن كانت مزعجة بعض الشيء إذ

المفطرين . لم اكن اعرف بعد ان الاول فى هذه الناحية لا يمكن ان يكون سوى الشاعر كمال عمار

هناك رايتہ يجلس وحده فى المطعم لمصبحث عليه وجلست قبالة . رجلا جالسا ينتظران وصول الطعام . كان يجلس عاسا لسبب لا اعرفه . وقبالة رايتہ يتقسم لشخص يراه خلفى . ابتسامة عريضة فرحة شاعت فى الوجه الذى كان عابسا . ونظرة غزلة رقصت وراء نظارته . فاهقنت انه راي انشى من ركاب السفينة والتفت بسرعة خلفى . لكنها لا كانت انشى ولا كانت فاتنة . وانما كانت عم عبدالعزيز يحمل صينية الطعام ! فدهشت ولم اعلق بشئ . اذ لم اكن قد عرفت بعد ان كمال عمار يشتهى الطعام بنفس الطريقة التى اشتهى انا بها كلوديا كاردينالى . وانه لو خير بين ساق المذكورة ذات الفمازات الثلاث وساق فرخة لفضل الاخيرة وظط فى الفمازات

فى صمت مقدس تناول السكين وراح يفرق به من الزبد ويكدسه على شريحة توست . فبينما هو يقضمها تراءت فى عينه نظرة صوفية غامضة . وخيل الى انشى استمع الى صلاة بعيدة يرتلها كورس من كهنة امون . ثم عصر الليمون على الفول المدمس ورش الملح . ثم قشر البهينة المعلوقة ورفعها الى انفه ليشمها . اكاد اقسم انه قبل ان يقضم منها طبع عليها قبلة حنان . ومشيرا الى الصحن الآخر الذى تورد فيه اربع كرات من لقمة القاضى نظر الى عم عبدالعزيز قائلا

- تاخذ اثنين من دول وتجب ببضة ؟

فايشم عبدالعزيز ومضى فى طريقه . وانكب كمال - على صحن الفول ملغما ينكب عريس على عروسه فى ليلة الزفاف

(٥)

السفينة فى عرض البحر الذى لا يلزمنى بالطبع ان اقول انه اُنزق . فلست ادري أين طلعت عليه تلك التسمية الغريبة مانه محر

احمر . فلهله كان احمر ذات يوم ثم اُنزق بسبب او آخر . مثل البحر الذى كان ابيض والاخر الذى كان اسود لكنه على اى حال - احمر او اُنزق - كان متعة للمعين والغيب . وهواؤه واله ولا الاربيع . والموج بجانب السفينة يرقص فى جنون . وفى رقصة يرسم بالزبد الابيض الالما من التشكيلات والنقوش الرائعة . كائننى انظر الى نقوش على ثوب من القماش المستورد الذى يباع للاغنياء فى محلات ما - معذرة اعنى ا - نو واتغام جميلة تنعش فى اذنى من بعيد . مقطوعة من انكونشوتو الايطالى لطيب الذكر باح . تعزفها على البيانو اصابع ماهرة وبما كانت اصابع المرحوم روبنشتين - ولاديه لسه ماماتش . فاسرعت نحو مصدر الصوت لكى اكتشف . انه ليس راديو . بل ان فى السمينة بيانو اسود اللون عتقا . وامامه خست فتاة رشيدة سمراء فى عشرينياتها . هى التى نجحت فى ان تنطقه يديها الصغيرتين بكل هذه الانغام . ساكت من تكبر فقل لى انها سوفيا يس . اخت رموى بس الذى يقال انه اجدع عازف بيانو فى مصر . وبنت الدكتور ناحى يس

الاصابع الصغيرة سمراء سرفرف على المماتش وتلثمها التهاما . اصابع البنت التى تخرجت اخيرا من الكونسرفتوار فكانتني ارقب فيها كلثنا من كوكب آخر . انا الذى لم انسج طوال حياتى فى ان انطق البيانو بشئ سوى السلام الملكى . وبصباح واحد طبعاً !

ولاشك ان الدكتور ناجى يس احد اولئك الابهاء الماديين الذين نجحوا فى تربية اولادهم - قتيبانى بادكتور ؟

فكذا سائت فابتسم وصوب الى كاميرته ليرسمنى صورة . الشاهرا السمينة التى يعلقها فى عتقه وتتأرجع طول الوقت على طبيب الميون ورئيس جمعية التصوير الفوتوغرافى وايبو

فوقفت في صمت أرقب الموقف ، اذ ينظر جمال الى الورقة
 فلم طول ثلاثون سنتيمترا بحرى عليها بخط او خطين . ثم يلتفت
 الى الفتاة بسرعة ليوجه اليها نظرة صاروخية خاطفة ، خط ونظرة
 خط ونظرة . بدأ وجه الفتاة ينتقل كالسحر الى ورقة جمال كامل
 لعل هذا هو السبب في تلك التطورات الثونية التي ما برحت تتعاقب
 على وجهها الابيض الخجول ، اذ يحمر مرة حتى يقبض قلب بطيخة
 شلبان ، ثم يهدأ لونه ويصبح بمبة ، ثم يصبح بمبة مسخوخ ،
 توطئة لان ببض بشدة وكأنه غسل بأومو ، هذا بالاضافة الى
 الضحكة اللاارادية التي تتفلق منها بين الحين والحين اذ ترقب
 نفسها لحظة بلحظة وهي تتحول من بنت الى صورة
 فينما أنا أفرج على المنظر شعرت بالحسد للرسام بصفته
 الفنان الوحيد الذي يباح له ان يربط الفتيات أمامه بهذا الشكل ،
 بعكس الكاتب الذي كتب عليه ان يرسم كل صورة من الذاكرة
 وفي نزوة تمرد اخرجت من جيبى نوتة وقلما وجلست أمام الفتاة
 قائلاً في الغراء

- سمح لي أقعد قدامك واكتب مقالة
- فقالت لا
- مرضه لا
- طيب قصيدة
- لا يعنى لا

فتنهت وغادرت المكان . من بعيد وقفت أرقب المنظر وأنا من
 حديد اشعر اننى أمام كائن من كوكب آخر ، انا الذى لم أنجح
 لموال حياتي في ان ارسوم اى شيء سوى صورة قطة . وحتى هذه
 الصورة لا أنجح في اقتناع الناس بها ما لم اكتب تحتها - مع سهم
 موجه اليها - انها قطة

(٨)

عابدة خفتت من سرعتها فجأة ثم وفقت ، والسبب هو ذلك
 الفئار البعيد الذى ينتظر التموين ، فنار في عرض البحر مبنى على



وه طعم عشاق يعطاد به « العرش »

محاولا ان يعوض المارس الذى سحقه عليه عبيد الله الطوخى ، ولا
 محمد صبرى عن ألف الكامييرا هما وهناك كالمحلة ينقطع اصوير .
 ببافسه في ذلك الدكتور ناحى وحلمى مراد
 والرجل النائم ما وان نائما ، والآخر الجميل مازال يبتسم
 للفضاء ، والسفينة كما يقولون تمخر عباب البحر ، أين جمال
 كامل

(٧)

هو في صالون السفينة مشغول بتصوير فتاة لطيفة بيضاء
 وتلفتها مهندسة كيميائية . فلماذا لا يكون التصوير على سطح
 السفينة في التفر ؟ لانه يا جاهل - كما قالوا لي - لا يوجد مر اسور
 تنوع في الظلال . وما قينة صورة بغير ظلال .

كتلة كبيرة من الصخر الأصفر ، نسيبت أن أسأل من أين أتوا بهذا الصخر وكيف بنوه . أسطوانة طويلة مخروطية تنفذ وحدها على وسط البحر ، مخزومة بالاشربة الملوثة مثل سيارات القطاع العام ولكن على أدق ضما . وفي أسفل المسلة العجيبة افتتاح كبير ، وفي الافتتاح ثقب هي الفواض التي يعيش وراما عدد من الرجان النادرين . فلا شك أنه رجل قادر ، ذلك الذي يقبل وطيلة في الخنار حتى ولو كانت من الدرجة السادسة العنية . شهر بعد شهر لا يرى سوى البحر والسماء والبواجر العابرة التي تتحاشاه وتفر منه فرار السليم من الأحراب . يتذكر الدنيا ولا يراها ، ويتحيل الانبياء ولا يلسمها ، ويحلم بالثوبين المقبل ولا كمال عمار .

وأزفل من السفينة لشي بدعوا بكدمو . في الركائب والمضاديق التي تضم عداء الأسابيع المذلة ، وحطوم ماء أدنى من السفينة ليملا خزانها خاصا في اللش . وأنا انتهر هذه الفرصة لكي أقدم إلى كافة دور الصحف ودور النشر ما لا اقتراح الظلي مارايكم في إرسال كافة مطبوعاتكم الدورية وغير الدورية محابا لأولئك الرجال الذين - كالشموع - يضيئون للناس وهم يحترقون من الوحدة . لا شك أنه اقتراح سليم أرجو أن يطبق بصورة - اللهم الا اذا كان مطبقا فعلا وأنا لا أدري

(٩)

- قرش قرش قرش
صرخات عديدة وحشية ترددت حولي بفتك الكلمة ، لصرخت انا في لهفة أقول
- حين " حين "

وامحييت على الأرض امحت عن القرش المذكور مدون جردى ، اذ اكتشفت بعد حين انه ليس قوسا مما في بالي . ما انا سمعة من اسماء القرش التي يستمر بها القدر الأحمر . فاهت وتاهت اشارات الاصابع الى السماء

٦٦

بقعة خضراء تتنوج تحت سطح الماء ، شبه غلامى اخضر كائن يتلصق في البحر ، ملك من ملوك الاعماق القامضة ، وعند مؤخرة السفينة كانت هناك وليمة تليق بالسك . كتلة كبيرة من اللحم رشقت في خطاف السنارة التي علمت انه مصنوع من الصلب لزوم اسنان القرش

البقعة الراقصة الخضراء تقرب من الطعام وتشمه ثم تهتد ثم تقترب وتبتعد ، وصمت وهيب خيم على كافة ركاب السفينة في انتظارهم المتوتر للحظة الحاسمة - كافة الركاب الا الرجل القائم بالطبع ، والآخر الجميل الذي صوب الى القرش بسمته للراحة وخيل الى اننى اسمعه يقول له

- شايق ياقرش انا حلوا ايه ١٢

وكمال عمار واقف بجانبى وهو يبتلع ريقه تباعا ، اذ انه في اغلب الظن يحسد القرش على تلك اللحظة التي يطبق فيها على كتلة اللحم فكاك

- هيه ا هوه ا هاه ا

صرخات الفرح الوحشى وقد انطبق الفكك على اللحم والخطاف ، وشرع البحارة بعددوا القرش ليبردوا راسه فوق سطح الماء . وبيروز الراس المذكورة انتهالت عليها العصي الطويلة القلبيطة بالضرب النميم ، وذلك لان القرش ليس من الاسماك التي ترفع الى سطح السفينة الا بعد ان تسلم الروح تعالما ، وضرب ضربة طائشة من ذيله السميك تكسر رجل العدو

ودارت الحبال على بكرة من الصلب لكي ترفع القرش الذى مات . ماهى الا لحظات حتى كان يتمدد على سطح السفينة وسط صيحات الانتصار . فادهشنى مدى ضخامته ، وادهشنى اكثر من ذلك انه اسود اللون لا اخضر . فالألوان كما تعلم مسألة نور وظلال . ثم رفعوه وعلقوه من ذيله وبدأ مهرجان التصوير ، كل رجل في السفينة يريد ان يقف بجانب الفقيذ ويصور معه في هيئة انتصار ، والدماء تسيل من راسه المحطم وتغرق ارض السفينة

٦٣

الكائن العاقل الذي مات في سبيل فضة من اللحم

ثم تبين أنهم لم يسيروه وإنما صادوها . أو أنها - كما قال
الحارة - أنشئ لادكر كيف عرفوا ذلك لا أدري . والمهم أنهم
ادخلوا الحظاف في البحر بكثرة جديدة من اللحم . أو أن السيد
الروح - هكذا قالوا - لم يلبث أن يفقد روحه ويضمحل للبحث عنها
فيلقى نفس المصير . حاجة كده رى يانعش سوا بانموت سوا

لكن شيئا من ذلك لم يحدث . وساعة كاملة مرت دون أن يصل
القرش الحزين . فلابد أنه ليس حزينا بالقدر الذي تصوره . وربما
كان في هذه اللحظة واقفا لم ينظر من بعيد . وبجانبه قرشه
حية بقوصها في ذيلها ويقول لها باسمها وهو يشير إلى زوجته
المحزنة

- النداءة مفيدة . هـ ١٠

رب في الأسماك صيد الحويح فاتحها إلى الضمعم . ومن عند
الباب أينما كمال عمار قد سبقنا إلى المائدة وراح يحول نصف
السلطة في صحنه الخاص . فاسرعنا لننظم حوله قبل موت
الأول . وابشامة عريضة لمعت على وجهه عندما اكتشف أن غداء
اليوم فيه فراخ

- صدر من فضلك !

هكذا قال لعبد العزيز وهو يواصل الابتسام . نه راح ينظر إلى
الصدر الزائف على صحنه وكأنه لا يصدق عينيه . توكلت لأن يمد
محوه يدا مرتعدة ليطلب عليه في حس

قال بهجت وهو يرقنه

- ده موش ح ياكل الفرخة ... ده ح سحوزها !

فضحكنا وعكفنا على الأكل بالشراهة المناسبة للسر الأحمر
وبينما أكل لمحت الرجل الحامل حيث يقف من دحاحته الخاصة
بغيرها مانتصامته اللوحة . والآن ...

- شايبة يا فرخة . يا لمعم .

لعموح يعرف حولاها بسما السفينة - قفا بقولوا - تمحر عمار
حر . حتى لجعل إلى أن البحر هو أمدى يحمر عمار السفينة
رياح أشد عريضة من العموح . في سكرة مفاجئة للماء والسماء
البحر الأحمر . هي قطعنا سكرة من سكرات الطبيعة والأفكيف
با أنها تلقى راحتى حيث جلست على الدكة الخشبية الخضراء
في السفينة عابدة ٢ . متارجحا إلى الامام وإلى الخلف كانتى
كك بدلا من السفينة جملا !

وامامى صار الشاعر أحمد راضى مترنحا عن سكرة الطبيعة .
خطو خطوة إلى الامام وانفتحت إلى الخلف . وافعا في الهواء
اعين حائرتين تحاولان التثبت بأشياء غير موجودة أصلا
جل من الركاب أقبل هو الآخر مترنحا ووقف بالقرب منى . بحه
ح يتأملنى بعينين غريبتين ثم تقبلا . فتركت له المكان و-

مد كفاح شاق في السفينة المتارجحة - على دكة أخرى . بعد
دقيقة حتى أقبل رجل ثان ووقف هو الآخر - مترنحا - بصوب
في نفس النظرة الغربية توطئة لأن يتقبلا . فتركت له المكان وولفت
بد سور السفينة متشبثا به كى لا تقع . وقع بصري على رجل في
طابق السفلى يمد رأسه إلى البحر ويتقبلا . فالحمد لله أن هذا
رجل - الذى تمنى - لم يكن يرائى أصلا إلا لأخذت الأمر بوصفه
برعا عاما من شخصى أنا

وبنى وبينك لمعت أفهم لماذا يميل الناس إلى التقيؤ عندما
تارجح السفن . وإذا كان القىء ضرورية فلماذا لا اتقيأ أنا ؟
بخيل إلى أنهم يفعلون ذلك لمجرد أنهم قرعوا عن القىء بوصفه
ظاهرة من ظواهر دوار البحر . وأهم لابريديون أن يبدو أقل من
عائر الناس علما بالتقاليد البحرية . أو لعظم طائفة من الوجوبيين
ذين أرادوا أن يفتنوا فرصة العاصفة لاستعراض شيء من
غشيان العيتاميزلى

ولعله أدرك أنه ما كان يجوز له أن يصرف هذا الصباح في استخدام البريانتين ، والا لا يمكن للرياح أن تقلق خصلة من شعره وترسلها على جبينه لتزيده - وهي تتطاير - جمالا لكن البحر قريبا يبدو أنش لا ذكر ، والأفما هذا الهدوء الذي بدا يسرى في كل من موجه ورياحه ، وما باله - كما غضب فحاة - يوشك أن يضحك فحاة ؟

(١٢)

والسفينة نفسها هدأت من سرعتها ثم وقفت ، لكن تمون بالطبع ذلك الفنار القريب الذي قيل لنا أنه مبنى على جزيرة طبيعية من صخور المرجان التي ما برحت تتكاثر وتتراكم وتتماسك عبر مليون سنة وأكثر

مسلة بعيدة تقف هناك وحدها ، في نقطة المركز من دائرة خضراء في وسط البحر . البحر كله أزرق بلون اللازوردي أن كنت تعرفه ، وبلون زهرة القسيل التي لا أشك في أنك تعرفها . إلا تلك الدائرة الصغيرة الخضراء في وسط البحر حول الفنار ، خضراء بلون الفيروز وبلون عيني قطي بوسي . وذلك بسبب ما يكمن تحتها من صخور المرجان ، وبسبب أن الألوان كما سبق لنا القول مسالة نور وظلال

ومن السفينة أنزل لنش هرعنا اليه وتكدسنا فيه ، وانطلق بنا نحو الفنار طالما بفعل الأمواج ونازلا ، وروذا الماء بتطاير وبيل وجوهنا وشبابنا فنصرخ ونضحك كالعبال

وهناك في بلكونة خلفية للفنار وقفت وحدي امام أجمل منظر رأيته في حياتي ، البحر للعريض الأزرق المحيط بي من كافة الجهات ، وفي وسطه - تحتى مباشرة - تلك الدائرة المحيطة الخضراء ، والسكينة التي هي سكينة ، والنسيم العسكر ، واحساسى بملايين الكائنات التي تعيش في تلك المياه الخضراء ، فشعرت بدموع تريد أن تفرق في عيني من قرط الثائر ، لكننى كبحتها بالطبع لكيلا يغمى زجاج النظارة . لميت احدا يدعونى لكنى



نور - ظلال - البحر - المرجان - فحاة - المسلة

لكن شبيها من كل تلك الضجة لم يسمع في ايظن الرجل الماتم فهو قريبا يبدو يحتاج في ايظن الى اجراءات اشد ماعلية من محرر عاصفة على البحر الأحمر . والأحر الجميل مائس بالفرح معه وقد اعطى وجهه للرياح ، لمسة غير مألوفة من المראה تشوب ابتسامته وكأنه يقول للعاصفة - اخص عليكى يا عاصفة .. موش عارلة انى موجود في المركب

القيم في ذلك الفناء اسبوعا . وان كنت واثقا بان الدموع التي
سأكتفحها في نهاية ذلك الأسبوع هي دموع السحير الذي يصرح
قائلا انا مظلوم

وعند الخط الفاصل بين الدائرة الخضراء والمحمر كان لزاما
عليهم ان يشدونني شدا لكي اركب الزورق العائد الى السفينة . فهل
رايت في حياتك خطا يفصل بين لوثين في الماء ؟ هل رايت ماء
نصفه ابيض اخضر . ونصفه الشمال ازرق مع انهما في وعاء
واحد ؟ وهل رايت هذا الماء الاخضر يتموج نحو الازرق فيبرق . ثم
ينسكب الازرق نحو الاخضر فيخضر . مع وجود خط متعرج وهمي
قلتم الى الابد بين اللوثين ؟

(١٢)

بين النوم واليقظة سمعت صوت جسم صلب يرتطم بجسم
اصلب منه ، لا بد ان محمد صبري قد صعد من النوم . لمبدو ان
صبري لن يخرج من هذه الرحلة بغير عاهة مستديمة في راسه .
دعك من الاصطلاحات التي يجب اجراؤها في حافة السرير العلوي
حيث ينام بهجت

ومثاقنا مددت يدي تلقائيا نحو مكنة الخلافة . لكنني ما برحت
ان رددتها قائلا لنفسي ليه تعلق ياواد ؟ انني في القاهرة اخلق
لحيتي كل يوم على سبيل المجازاة للرسميات . ولكي ابدو - في
حدود المستطاع - جميلا ... لكنني وانا هنا في عرض البحر لماذا
اخلقها ؟ هافيمة الرسميات لو هبت عاصفة اخرى قلبت بي

السفينة . وما الغرل - بالنسبة لحدة تدفعها الامواج - الى الشياص .
بين ان تكون تلك الجثة حليفة او بلحية ؟ واما عن الحملات مع
انقاعى به على ظهر سفينة كل اثنائها محجوزات من سفنات .
ومهما كنت جميلا فلن اكون في النهاية اجمل من الرجل الحمل
خواطر لا اظنك تجادل في كونها جادة وعبيقة . ولذلك ما كنت

امضى بها الى صبري حتى وافق عليها لفوره . كما وافق عليها
جمال كامل الذي تصادف ان يدخل علينا في تلك اللحظة . فسرعان
ما عقدنا معاهدة ثلاثية على الانحلق لجانا طالما نحن على السفينة
عابدة ٣

(١٤)

دق جونغ الغداء فنظرت الى كمال عمار وهو يستلم ريقه . ولا
ادري لماذا تذكرت العالم الرومى بالفلوف . وعلى المائدة تبسم
كمال في حنان للحرسون العاير بوعاء البامية . فانحذب الرجل
للابتسامة والقبل نحو كمال . من غير ان يساله ماذا يريد امرغ في
صحته كبشة اضافية من البامية

وبعد حين فرغ الماء من الشفق الذي على مائدتنا وكان

الحرسون بعيدا عنا فقلت لكمال

- ما تبسم له علشان بيحي ا

فزعر لي في استنكار وقال

- اما ابتسم له ع البامية .. ابقي ارقص له ع الرز ؟

فضحكنا بما يناسب الموقف . وترامى البنا صوت تكشف لما

منه ان الرجل الحميل ليس جميلا لحسب وانا هو دقيق ايضا . اذ

سمعناه يقول للحرسون في لهجة احتجاج وهو يشير الى روك

الفرجة الرائد على صحبه

- ايه ده جاييد لي روك شعل

(١٥)

الساعة الثامنة عصرا . من ساعة كاملة وهي تشير الى

الخامسة . والمسفينة وافقة لزوم الانتهاء من تعوين هذا الفناء

الجديد . لم اكن اعرف ان اللقائات في البحر الاحمر كثيرة بهذا

الشكل . وان تعوينها يحتاج الى كل هذا الوقت .. ولذلك قلت

للقيطان عندما سألني ان كانت الرحلة ماشية :

- الرحلة ماشية لكن المركب واقفة

ويسأله عن السبب قال ان صوت الموسيقى يفسد عليه صوت
شخصية الزهر وقرع القشاشات على خشب الطاولة
- تحب سماعك حاجة ثانية ؟

فأجلب بالنقى ، لا لانه - كما شرح لنا - لا يحب بيتوفن
فحسب ، وانما لانه لا يحب الموسيقى كلها ، اه ، وتركنا ومضى ،
وصوت ملأى ، لم كلثوم تراسى الينا من راديو اخر ادارته احدى
الانسات فى الزرك البعيد من الصالون ، ذلك الصوت الذى هيج
عليها حملة جديدة من المطرات الشراء التى يصوبها الينا الزميل
صالح حودت ، وما لث ان نهض بدوره واقترب منا قائلا فى لهجة
لوم وعتاب

- يا جماعة ، يا جماعة ! ام كلثوم بتفنى ومدورين الكلام ده ؟
وكار فى طفة لكلمة ده ، كمية من الازدراء اطارت ابدينا الى
البك اب لكى سكتة ، مع احموار فى وجوهنا بسبب ما شعرنا به
من مدى فساد ذوقنا الذى جعلنا نهمل ام كلثوم الى سبيل تلك
الطبعة السيطونية

(١٧)

موز الكهرياء وضلال النيل على ظهر السفينة جديا فلم جمال كامل
الى ورقته وجلس بالقرب منى لكى يحولنى الى صورة - نظرة منه
كالسهم الى وجهى ثم خط فى ورقته ، ونظرة اخرى ثم خط ، احسن
كانه - يقشطه اللحم من وجهى ويلصقه على الورقة ! فذكرت
البنت البيضاء وعذرتها ، اذ احسست بوجهى انا الاخر مرة يحرر
وهرة بيضاء ، وعرق ساقى بلل جببنى ، خاصة وان المنظر اعجب
ركاب السفينة كلها فاجتمعوا حولنا يتفرجون ، فى عيونهم اعجاب
واضح بالصورة وابكار اوضح لموضوعها ، اليس حراما ان يضيع
العنار البعيد كلا من وقت وصا ص قلعه - دعت من الورقة - فى
رسم صورة لوجه العبد لله ؟
لكنهم يقولون ذلك بالطبع لانهم لم يرونى مغير لحية طويلة .
فما سمعهم الله حيث انهم لا يعرفون ماذا يفعلون ، وبكل ما عتدى من

الكائنات البرود واصلت جلسة الموديل امام جمال كامل ، بل اننى
لم انس فى بعض اللحظات - وانا انتنحى فى كبرياء - ان ارسم فى
عينى النظرة الى ظلام البحر نظرة فلسفية حالمة
(١٨)

الساعة التاسعة وناقوس كمال عمار يدق - معذرة ناقوس
العشاء ، فنهض الجميع للأكل الا انا ، وهو ما يثبت اننى انا الآخر
اعتبر فى بعض النواحي - وخاصة ناحية هذا العشاء المبكر الذى
حاول نظام السفينة ان يرغمنى عليه - كاننا من كوكب اخر ، كل
الناس يجوعون فى الساعة التاسعة الا انا ، منذ عشرين عاما على
الأقل لم آجع قبل منتصف الليل ، ولذلك لن اقوم للطعام ، ولن
عرض نفسى لما قاسيته بالاسر عندما ارغمنى الرفاق على ان
اخضع معهم لحكاية العشاء فى الساعة التاسعة .
اذا جلست الى العائدة وابتلعت معطويات ملقحة من الشورية
ما حسست للفرور بكركرة غريبة فى جوفى ، وخيل الى اننى اسمع
صوت معدنى تقول لكبدى فى دهشة

- هى صاعتك كام ؟

- اظن تسعة .

هكذا اجابتها الكبد وهى تتنأب ، فسمعت صوت يد المعدة وهى
تضرب على صدرها قائلا

- ياندامتى ! امل ايه الشورية الللى نازلة فى دى ١٩

- شورية ؟ شورية ايه ؟

- شم !

فاحسست بالكبد تتشمم الجو حولها توطئة لان تقول

- ده صحيح ! الراحل ده اتجنن ولا ايه ؟

وبابتلاعى اول قطعة من اللحم زاد ما فى جوفى من الهرج
والعرج ، وصرخة بانسة من معدتى وهى تقول

- دى موش بس شورية ، دى لحمه كمان !

بلاش ومتعسسا لحيتي الشائكة التلت الى فتاة تقف بالقرب مني
ولفت لها

- يامدموازيل .. تسمحي لي أسألك سؤال بس تجاوبيني
مصراحة ؟

فنظرت الى في ردية قاتلة

- أنفضل

- شكلي وحش قوي وأنا لحيتي كده ؟

فاستعرضتني في ازدراء وقالت

- والله ماشفتكش من غيرها عشان أحكم ا

وتركتني ومضت ، وسرعان ما كنا نجري - جمال ولنا - الم
امواس الحلاقة .

(٢٠)

السفينة واقفة من جديد أمام الفئار الذي ربما كان رقم
عشرين ، كان البحر الاحمر شارع وهذه الفئارات اشارات المرور ،
وكانت به مجموعة من الفئارات حولها بحر ا ومع ذلك لم تتفع كل
هذه الفئارات في منع كافة الاخطار ، بدليل تلك السفينة التي مررت
بها - موهلة - في وسط مجموعة من الصخور المرجانية ، والتي
علمنا انهم سيتركونها هناك الى الابد بسبب أن نفقات انتشالها
أكبر بكثير من ثمن اقتضاها ، فوالله - قلت ليهجت - لأتصلن
بمصلحة الموانئ والمناشر بمجرد عودتي لكي افلوضهم في
شأنها .

- ليه .. ح تشربها ؟

- لا .. يمكن ياجروها لي مقروضة !

فلا شك أن سفينة غريبة كهذه السفينة - هذا القصر المشيد
في وسط البحر - تكون أجل مكان يقضى فيه الرجل عطلة الوبك
اند مع هذه الجماعة أو تلك .

ولما كان الشيء بالشئ يذكر فقد قلت لصبري وأنا الف بجانبه

٧٦

سود السفينة

- تسمع تصوري والفارة جنبتي ؟

- ليه ؟ ..

- عشان مواتي تتأكد اني في البحر الاحمر ا

فربما يكون قد خطر لها - وأنا لا ادري - أنني واحد من أولئك
الأزواج الأوغاد الذين يقولون لزوجاتهم انهم في البحر الاحمر وهم
في بحر آخر . يعملوها والله .

(٢١)

السفينة تمخر كما يقولون عباب البحر متجهة الى الغردقة . لم
تتوقف يا خصارة عند سفاجة مع أنني كنت قد أعددت فتكة خاصة
بها . كنت أنوي أن انتظر من بهجت أول غفوة أو سقطة لكي أقول
له :

- أهى دى سفاجة منك !

وبعراجتي لهذه الفتكة أشكر الحظ الذي لم يوقفتنا عند
سفاجة

(٢٢)

من السفينة الراسية أمام الغردقة أمزل زويق تكسنا فيه حتى
الشاطئ . ثم تكسنا في أو توبيس سياحي يحملنا وسط أبار
التبرول الى الفندق الكبير بالغردقة ولا هيلن وات ذلك الفندق
الفاخر . واجنمة الكبائن الملحقة به على شاطئ البحر ، والبحر
اخضر بلون الفيروز وعيني قطنى بوسى ، وتلال بعيدة صفراء تلمع
في ضوء الشمس الساطعة - أسطح شمس من أسفل سماء فوق
اخضر ماء .

وتعال معي - اجري بسرعة ا - نحو ذلك الصنف الطويل من
المقالات المرصومة على البلاج . انظر هناك الى ذلك الميكيني ،
على ذلك الجسم الرشيق الأبيض للسيدة الألمانية .. أوليست
بذمتك تحفة ارية نادرة جديدة بان تعرض مع سائر التحف
المستوردة في فترية ها - قصدى ا - نو ؟

مصوب اليها كل ذى عذسة عذسته . وطرقعت الكاميرات حولها
وهي تنتظر في غير استغراب - ما الغرابة في أن يصور الرجال
سيدة جميلة ؟ بل انها وقفت مقصوعة وهي تقبض على عصا
المظلة بيدها اليمنى وبيدها اليسرى صوت شعرها الذي تغامته
رياح البحر الرديلة . ولظرف من ذلك أن بجانبها يجلس رجل ربما
كان أحاما أو زوجها . بغير أكثر من يرفب المنظر ويبتسم . سمسة
أرية سمحة تشوبها لمسة زهو سمى اقتفاء لتلك التحفة لعارية
فواش لولا أن العجزة في ذلك الفندق بثمانية حنيها في الليلة
لتخلفت عن العودة مع الرفاق . ولقضيت هناك شهرا على الأقل
أرسل فيه مقالاتي بالمريد - لذا قضيت طبعها أكتب مقالات
وبانتهاء التصوير تهادت نحو الماء الأخضر . على أيقاع قدميها
وجدتني أتحوّل من ناثر الى شاعر . انطلقتى العفاس بهذه الأبيات
التي أحب أن أعرف وأيك فيها

يا لآبسة بيكني

كورفة توت

تعالى حاكيني

لعضة وأموت

ماشية

وهي غير للقصيدة التي قرأتها في عيني كمال عمار وهو يتأمل
السيدة مثلي . سائل اللعاب كأنه سمع الجونج ! فلو أنه تنم فيها
لقصيدة - تلك التحفة التي تخوض الماء الأخضر - لقال شيئا من
هذا القليل

رشيلة هيفاء

أرية حسناء

لحاجة مضاء

وهذا الماء

ملوخية خضراء

هذا والرجل الجميل برلبيتا في العاصم فترسم على

شفتيه بسمعة سخرية وكأنه يقول
- أصلهم ما شافونيش أنا بالعابوه !

(٢٣)

الليلة عبد ميلاد محمد صبرى . كل سنة وأنت طيب يا صبرى
وفيروز تقضى له لحنا راقصا اثنت لنا أن بهجت ليس رساما
لحسب . وانما رقص ايضا ! على نغمة الديكة يرقص وكذلك على
واحدة ونص ! قبا بخته على هذا الأزواج المهنى . وعلى اطمئنا
إذا ما ه رفدوه . بسبب أو يأخر من دار الهلال - على مستقبله في
عمو خيام الزملاك !

وسونيا يس رأت أن تشارك في الاحتفال . بمعزوفة لبيتهولن
على البيانو العتيق انذى ماكان لينطقه غير اصابعها السحرية
وناطرا اليها رجوت لها عندما تنزوج الا يكون الزواج مقبرة لتلك
الموهبة . كما يحدث للكثير من الموهوبات . تكون دامية لو انها
بعد عشر سنوات من الزواج - في وسط ثلاثة اطفال - ترى زوجها
يدير اسطوانة لبيتهولن فتقول له في تأفف

- يفتى بلا وجع دماغ .. سمعنا حاجة لعبد الحليم حافظ !

(٢٤)

الوقت قبيل الغداء والرجل النائم مازال نائما . وكمال عمار
مرهف الاذنين لكيلا يضيع عليه وسط انغام فيروز - صوت
الجونج . فلو ان هذا الشاب تحول الى موسيقى لكان أول موسيقى
يلحن كوتشوتو كاملا للجونج والاوركسترو . او لفتحنا الراديو
فسمعنا المذيع يقول :

- والان سيداتى نستمع الى كمال عمار في تقاسيم على
الجونج !

وهواء البحر الأحمر اطار على جبين احدى الركبات شعرا
حريريا . هناك حيث وقفت مستندة الى سور السفينة قاتلة يصوا
لى . وقد كان لطير فستانها ايضا لولا انها لا تلبس الفستان .
انظر الى ذلك البنطلون الهيلانكا الاحمر وقل معنى أوه لالا !

لكننى بالطبع لا يجوز أن أطيل البعثة الى ذلك المنظر لأننى فى مجتمع محترم ، مع أنه والله - المنظر لا المجتمع - جميل جداً
فلانظر الى البحر ما شاء لى النظر قائلاً الله ! ولانظر الى الجبال
والى السماء والى القمر قائلاً الله ! كل شئ - يجوز لى أن أبعث فيه
وأقول الله الا منظر العمال الشمرى ، هو وحده الذى يجب أن أراه
فأقول استغفر الله ! فهو بحر كبير ذلك الذى بفصلنا عما رأيت فى
الفردقة من التسهل الأرى . ولاغض النظر بسرعة وقد تحركت
الأنثى ومرت أمامى . لى جرة قسيولوجية رائعة تهتز مبتعدة
عنى ، قاصدة الى حيث لا يعلم الا الله !
والرجل الجميل يرقب نظراتى فلا يلبث أن يضع ساقاً على ساق
واكاد اسمعه يقول فى كبرياء
- طب ما لنا بنطلونى من انو !

(٢٥)

السفينة تمخر كما يقولون عباب البحر حتى وصلنا الى جزيرة
اسمها على ما اذكر ، برنيس ، جنوبى اسوان بعدة كيلو مترات
فى تلك الجزيرة كان مفروضاً أن نستحم بدلا من أن نكتفى كما
عملنا فى الفردقة بالفرجة . فانزل من السفينة لنش تكدينا فيه من
جديد حتى الشاطئ . وفيه دار حديث عن طبيعة البحر فى هذه
البقعة الثانية المهجورة ، وعن الكائنات البحرية التى تقطنه ، اذ
قال هبة عنايت - استنادا الى خبرة سابقة بالبحر الأحمر - انها
تتألف من عدة أنواع هى الآتية :- التى ما بعض يقصر ، والتى ما
يقصر يلدغ ، والتى ما يلدغ يلد ، والتى ما يلد يلوش !
اى أننى بعد نصف ساعة من الاستحمام فى هذا البحر يجب
أن يكون فى انتظارى على الشاطئ عندما أخرج - اذا خرجت -
ثلاثة رجال مزودون بالادوات المناسبة للموقف .. الاول يحمل
فرشاة لكى ينفخ بها ما يراه من كائنات بحرية تتمشى على
جسمى ، والثانى يمسك ملفا ينتزع به الكائنات الأخرى التى
لبدت فى جلدى ، والثالث يحمل لفة قطن وزجاجة ميكروكروم لكى



يظهر الجراح التي تنتشر في جسمي بسبب ما عصفني وما قرصني
وما ، لاشئ . من تلك الكائنات

وجدير بي بالطبع بعد أن أعود الى القاهرة أن امر على طبيب
الاذن والاذن لكي يستخرج ما ربما يكون قد تسرب الى الاعضاء
المذكورة من كائنات البحر الاحمر

صورة ازعجني بعض الشيء ، وانا اطلع واسئل مع حركة اللش
فوق الامواج ، ذلك اللش الذي مالبث أن وصل الى الجزيرة وقف
على بعد عدة أمتار من الشاطئ .

- اتفضلوا انزلوا ، الميه موش غويطة

هكذا قال لما البحار المراقق مصدقناه وقربا من اللش . وهي
اللحظة التي تبين فيها مدى اختلاف الرأي في صفة العمق بين
الرجل البحري والرجل الآخر البري . ان قفزنا وفقا لامر البحار
فوجدنا انفسنا نفوس في الماء - وجاء النقاش وأنا - الى قريب
العق ، والفرق الوحيد بيننا في هذه المحنة انني كنت اليس المايوه
في حين كان هو ليس القميص والبطلون ، غير انه لم يسمح لهذه
المفاجأة بأن تفقده حسن تصرفه ، وبسرعة - وقد يش من انقاذ
ثيابه من البلل - رفع فوق راسه الكتاب الذي كان قد أحضره معه
ليواصل قراءته . وهذا هو السبب الذي جعل بهجت يقول له :
- كان حقا تشتري من الكتاب ده نسخة بلاستيك !

سرب كبير من الطيور البحرية ذات الاجنحة الطويلة افرعه
وصولنا قطار عن أرض الجزيرة وهو يقول كاك . ومتذكرا كلام هبة
عن كائنات البحر الاحمر سرت على اطراف اصابعي مخافة أن
أعصف وأقرص . ونفلا رأيت على الرمال الصفراء الناعمة عدة
محارات تجرى بسرعة وقد افرعها مقدمي . وتلوذ بجحور في
الارض اعدتها لزوم هذه الطواري . لكننا كانت قليلة بدرجة
مطمئنة ، وهي على أي حال تخاف مني - الحمد لله - أكثر مما
أخاف منها .

فرفعت عيني عن الارض وأرسلتهما تستعرضان الجزيرة .

كانني والله في جزيرة التفاحة والجمجمة . الرقعة المستديرة
الصفراء التي تحيط بالبحر الاحمر ، ودياح نقية مثلا صدوي .
انقى رياح شمعتها في حياي . وصوت بعشة الماء على الرمال .
وهمسات البعيدة بين شعب المرحان . والخضرة التي تتحول الى
ورقة عند الافق البعيد ، من جديد أحصمت بالدموع تتصاعد الى
عيني من شدة التأثير بهذه السيمفونية البحرية البادرة . فأتيت
يازانا - هكذا هتفت . اين انت بغير كرتة او الحاح طبة ، واين
شجرة التفاح التي تعدت تحتها ذات صباح ، وببدا الصغيرة
البيضاء سويت على صدرك قشرة تفاح حلزونية حمراء ؟ -

(٢٦)

سعيدا بين أحضان المياه الخضراء الدافئة ورمال تنزل تحت
قدمي وربما كانت احد الكائنات الهلامية التي تقطن قاع البحر -
ومن يهمة ؟ ومنظار مائي قدمه الي شاب لطيف وطلب مني أن
ألبسه وأنظر به تحت الماء بجانب تلك الصخرة القريبة . فلبسته
ونظرت ويا سبحان الله على ما رأيت من أسماك حمراء وخضراء
وفريدي . يعيون براءة تحلق محوى وهي تنزل في الماء . تحلق
نحوى ولا ترائي . ليس ثمة فكرة عندها عن آلاف الاميال التي
قطعتها من القاهرة الى هنا لكي أراها . فهو موع من الانفصال
القريب بين مختلف الكائنات الحية . ذلك الانفصال الذي لا يمنع
وجود الاتصال الكهربائي الشامل وفقا للنظرية التي سباحول ذات
يوم أن أخذ اجازة لاثباتها

وفي مياه الشاطئ الضحلة جلسنا ، ستة منا ذات ارواحهم
في المياه الخضراء . بهجت وجمال كامل ومحمد صبرى وعدائله
الطوخي وفيه عنابت وأنا . ورجاحة من اللبن المبستر كان بهجت
قد أحضرها معه لزوم التغذية الاضافية في هذه المنطقة الوعرة .
حرج منها جرعة ثم قدمها الى فجرعت . ثولطة لأن أقدمها الى
جاري ليخرج . ثم عر لما ان مختبر بها صحة ما درسناه في معمل
الطبيعة عن قوانين الطفو والكثافة وما الى ذلك . ان احكنا سدها

مائلة ووضعناها في الماء فنامت على جنبها وكانت تغرق . فشربنا
مها قرامة مصمها ووضعناها في الماء من جديد . رايناها تمندل
وتستقيم وتقف في الماء عمودية متوارنة مع حركة الموج اللطيف
تترافق وتتأقل بيننا . كما رست امام رجل مما نزع عنها القلة
وجرع . هو الله ماشربيت في حياتي لبنا اعلى واصلى من هذا
اللين . ولعل اللبن من الاشياء التي لا تحلو الا بالقصة على موجة
خضراء لمذكرى عند عودتي ان اعاود هذه التجربة وانا جالس في
البانيو

(٢٧)

السفينة تمخر كما يقولون عجائب البحر متجهة الى الشمال
وهدفها ميناء الطور ثم ميناء السويس حيث تنتهي الرحلة . وبين
الثوم والبقطة ساورنى شعور غريب بان السرير لا يهتز ولا الحجرة
تتأرجح . انكوب السفينة قد اتمتبتك - كالسفينة اياها - في شعبة
من صخور الارحان ؟

كلا هي لم تشبكت . بل انها ليست سفينة اصلا . وانما حجرة
مومي في المنزل العامر الذي بت فيه بعد انتهاء الرحلة ليلتي انا
الآن على اليابسة لا على الماء . رحلة وامتت ولم تعد الا ذكرى في
الكترونيات المخ . ان اصحو بعد اليوم على صوت ارتطام صلعة
صبري بسوير بهجت . ولن ارى وجاء النقاش في الماء بالبنطلون .
لا حوئج بعد اليوم ولا وقفة مفاجئة عند المنار . ولا لنش يعلو من
وبهبط ولا كائنات تفرص وتلبد . ولا رجل نائم ولا اخر جميل ولا
صور ترسم لى ولا اصابع سحرية على العياو العتيق . ولا بيكيني
ولا هيلاسا ولا عاصفة تهب ولا رجال بمقايون . ولا لحى تطلق ولا
زحاجات لبن تعوم . ولا بقعة خضراء تتلوى بين الامواج قبيل صيد
القرش . اما الآن على اليابسة لا على الماء وانقرش الوحيد الذي
سأحاول صيده هو القرش الذي اقضيه ثمتا لهذه السطور .
وبهذا تنتهي سكة السفر واعتقد ان الوقت حان لكى اقول لك
حمدا لله على السلامة !

شارع السيقان الموسيقية

بدأت علاقتى بالناحية السكسونية من الحياة في الطائرة التي
حملتني من الكويت الى لندن . لا لمجرد ان محركاتها مصنوعة -
الطائرة لا الكويت - في مصانع رولر رويس البريطانية . وانما
بسبب ذلك القى الانجليزى الذى تصادف جلوسه بجانبى . إذ
التقت نحوى في برامة غير متوقعة وقال :

- هل انت انجليزى ؟

فدهشت بالطبع . ومع الدهشة مزيج متناقض من السرور
والاستياء

- هل ابدو انجليزيا ؟

هكذا سألت برؤعة عتاب خفيف لمقلب شففته السفلى وقال

- ول

قالها متلك اللهجة التي تقول بها است كلمك المعروفة . يعنى ا
- كلا لمست انجليزيا . شريحت له . انا مصرى

فلم يرد على قوله اوه . والى الابد سأنزل جاهلا للمعنى الحقيقي
لهذه الالوه . وبحثت انكسر في هذه الشبكة الطائرة التي واحببني .
حكاية ان منظرى من شأنه ان يوحى لبعض الناس باننى انجليزى
حتى وان كان اولئك الناس من الانجليز . مع انى معا قد يتعلق
عزير البعض ان يعرف ان شكله خواجهاتى . ولكننى من ماحية لمست
ذلك البعض . خاصة وان هذا الشكل هو آخر ما اطلبه في لندن
هناك كنت اعصل ان ابدو شرقيا صميما . لا لاعتزاري بشرفيتنى
محسب . وانما بسبب ما سمعت عن الاثر الطيب الذى طالما تركه
سحر الشرق في نفوس الانجليز لا سيما اذا كانوا انجليزيات .
لكننى على اى حال . فلت لنفسى - منهدا - لم اسافر الى لندن

لهذا الغرض . وما اظن ان شهرا من الزمن يمكن ان يسمح لي باستقلال ذلك السحر مهما بلغت درجته ، فانا في القاهرة نفسها احتاج الى أكثر من شهر لتأكيد سحري . وربما احتجت في بعض الاحيان الى أكثر من ستة اشهر . فما بالك وأنا مضطر هناك في لندن الى ترجمة ذلك السحر الى الانجليزية !

وعلى لوحة كهربائية في الطائرة وضعت كلمات تأمرني بأن اكل عن التدخين وأربط الحزام على بطني لقرب هبوط الطائرة . فاما عن التدخين فقد سمعتني ان امتنع عنه حتى لتلك الفترة الوجيزة . واما عن ربط الحزام على بطني فهذا شيء قد تعودت عليه منذ الحرب العالمية الثانية . ولن احاول ان اخفي عنك تلك الرعدة التي اعترت يدي وأنا اربط الحزام . لا لخوفى من فكرة الهبوط في ذاتها وإنما من فكرة الهبوط الى ذلك العالم القريب الذى اعانيه للمرة الاولى . ورجل مهذب في الجحرك الى جانبى انه اصلى سائنى باسمنا - لماذا تزور لندن ؟

وهو سؤال كنت اندرت من قبل بأنه سوف يوجه الى هناك . وكذلك سلبت نفسى باعداد بعض الاجابات المبكرة . واهباً ان اصبح عن روح الموظف المسكين ذلك الملل الذى لا بد يعانیه من طول استماعه الى نفس الاجابات الرسمية المكررة . فانيك بعض الامثلة لتلك الردود التى جهزتها

رد ١ - لكى اتفرج على تغيير الحرس فى بكنجهام !

رد ٢ - لكى اجرب حظى فى قطار جلاسجو !

رد ٣ - لكى ادعو شارة تشترى الى كاس !

رد ٤ - لكى اطعم الحمام فى ميدان الطرف الاغرا

وبغير ذلك من الاجابات التى لا شك فى انها كانت تلفت انتظار اللندنيين على الفور . وربما دعوتى - استناداً اليها - للاشتراك فى برنامج ساعة لقلبك البريطانى . ولكن وهبتى للموقف اطارت كل هذه الاجابات من دماغى . ولم ازد على قولى اننى فى رحلة سياحية عادية . فكتب الرجل كلفة ما على الوقوف ثم طردنى بما يشبه

استقامة موزعة بينى وبين الزبون الذى ودانى .

وبينما انا ادخن سيجارىتى الاخيرة تحت الاعفوية الثقيلة فى سرير الفندق .. اذ كان وصولى الى لندن فى جوف الليل . وحدثنى انا الاخر اوجه الى نفسى نفس السؤال

- لماذا تزور لندن !

فما صرحت القول باننى رحت فى النوم قبل ان اعثر على جواب يلتفتنى

المستان والاسترليني

المدينة بالنسبة لاهلها منازلها . واما بالنسبة للاغرباء متى فهمي شوارعها . وقبل ان احدثك عن الشارع اللندنى احب ان احكى لك حكاية صغيرة شاهدتها فى القاهرة قبل سفرى عن بنت صغيرة تسير فى شارع قصر النيل سندية يمسى جوب منهادية على الرصيف . سارت تلك البنت تتحوطها الانصار . ما من عبق رجائى او جريعى الا واستدار نحوها وكلمات كثيرة ترددت حولها منها لساخو الى درجة البذاءة . وأكثر من ذكر مصرى تعذر وكاد يسقط لاضطراره فى سبيل مواصلة البحثة الى ان يسير عدة خطوات صوره .

هذا هو موقف الشارع القاهرى من المينى جوب . ذلك الموقف - لو تحقق فى لندن لكاد معنى ذلك . تتوقف الحياة هناك ثوقاً اما ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية تدك من وقت حركة المرور . ولكن فى مقدور جيش اجنبى معاد ان يحتل لمدينة وينشئ حكومة جديدة ويعلم الجمهورية بدلا من الملكية الشعب الانجليزى مشغول عن كل ذلك بالبحلة !!

فما صرحت اللندنى بالاحتمار - او على الأقل كما انشغلت به لاول مرة هو شارع المينى جوب والسيقان العارية ' الاف من السيقان لوبلة البيضاء المشوقة العارية تتواهب على الارصفة فى نشاط

انجلو مكسونى قد ، وفى ايقاع جميل مثل ايقاع مفاتيح البيانو البيضاء وهى تتموج تحت اصابع روينشتين ، او مثل اصابع مدحت عاصم او سونيا ورمزى يسى ، ان كنت تفضل التشبيهات المحلية .

فتاة واحدة فى لندن لا تظهر فى الطريق بغير المينى جوب ، وكأنه قد اصبح الزى الرسمي لكل انثى دون الثلاثين من العمر ، او دون الاربعين اذا اخذنا فى اعتبارنا قدرة معاهد التجميل العصرية على استبعاد آثار البعد الرابع . وليس يلزم ان تكون لاسمة هذا الثوب صبيبة عذراء ، لو اشترطنا ذلك لما لبسه احد ، بل يكفى كما قلت ان تكون الانثى فى سن الشباب ، والشباب بالطبع لا يتناقى مع ان تكون الانثى زوجة واما ، فما اكثر الامهات اللواتى رايتهن يدفعن عربات اطفالهن بالمينى جوب ، ذيل الثوب القصير يهلهل على رأس الطفل فى حنته الصفيرة ، والجنة كما تعرف تحت اقدام الامهات .

ولقد يقصر الفستان ويقصر - صدقنى اننى لا لبالغ - حتى يصل الى مستويات تنسبه انه كان فى اى يوم من الايام عند الركبتين ، وحتى يوشك ان يتحول من ما فوق هذا الى ما تحت ذلك ، ولرب نسمة لندنية عابئة تهب عليه لتعطيك فكرة عن حقائق الحياة ما كنت لتأخذها بغير شهادة من المأذون او من كلية الطب ، اذا لاحظنا ان لندن مدينة سياحية فانت لا ترى السيلفان الانجليزية فحسب ، بل الامريكية والفرنسية والايطالية والاسترالية والكندية ، وكافة السيلفان الغربية على مستوى حلف الاطلنطى والكومنولث ، كأنك فى معرض دولى للسيقان ، وكان بنا ما سوف تنال فى آخر اليوم جائزة او وساما بصفتها صاحبة اجمل سافين فى المعسكر الغربى !

ولكن الشيء اذا زاد على حده طالما انقلب - واسفاه - الى ضده والافه كما يقول الانجليز انفسهم تولد الاحتقار - فبعد يومين

او ثلاثة من التصنع فى الشارع اللندنى مع النحلة لا تلت ان تعاجا تلك الظاهرة الغريبة . انك لم تعد تجد اى نوع من الانارة فى تلك السيلفان ، لكذلك والعيان مات قد اصبت بعرض ما ، او كنت طبيب امراض نسائية يكشف على الانثى الماتة بعد الالف ، او كأنك - لكن يكون التشبيه اسرع الى نفسك - تنظر الى ساقى زوجتك الخاصة

المفاتيح البيضاء صارت مجرد مفاتيح ، ولم تعد تترك فى النفس اكثر من اثر موسيقى مجرد ، وهذا شيء تراه فى عيون كافة الرجال فى الشارع اللندنى . انهم قد اكلوا وشبعوا الى درجة التجشؤ وما عادوا يطلبون المزيد . وحتى البنات انفسهن قد تسعين فيما يبدو انهن يلمن زى شيء غريب ، وما أشك فى انهن يشعثن العودة الى الفستان الطويل المدفء لولا خوفهن من تهمة التخلل عن العوضة . ولعل البنت الاسطورية لا تنمست بهذا الفستان الا لاعتبارات اقتصادية بحثة . كان الفستان كان لازماله ان يكمش لكن يتمشى مع اكماش الاسترلينى . ويرتفع لكى يلاحق ارتفاع الاسعار

ذلك هو الشارع البريطانى وفقا لانتطاعى الاول به ، وهو ما لاينلئ ان فى ذلك الشارع مذات من الطواهر الاخرى الطريفة التى ارجو عندما اخذت نفسى ان احدثك عنها شيئا فشيئا صبرك على قليلا ومحدرة حتى اسمح زجاج نظارتى

وعلى السلم المتحرك المؤدى لانفاق المترو رأيت فتاة تضم إليها في أعزاز شديد صديقا ذا لحية مرسلة يجسده عليها القساوسة ولأنها كانت تنقف على درجة من السلم اعلى منه رأى الوغد أن يبرح على صدرها كلا من راسه ولحيته مثل طفل صغير ، والبنيت تتخللها بأصابعها كأنها تبحث عن شيء فيها

وفى الاتوبيس وعلى الارصفة المزدحمة وفى كل مكان ، طول الوقت تطرق حولى تلك القبلات اللذنية ، وما من أحد يستكرها ويكثر بامرأها سوى . فبدأت أخذ عليها بل واحاول مثلهم أن أباركها ، واحد أنه من السخف أن أكون أنا الفيكتوري الوحيد فى عصر البرابيث ! بل اننى مدت أحدى من نفسى إزاء هذه المظاهرات التقليدية . ماشى كده فى الطريق العام دون أن أقبل أحدا . وتجسم هذا الكسوف ذات ليلة وأنا جالس فى أحد المحلات وسط عدة أزواج من العشاق الذين يلتهمون بعضهم بعضا . فنظرت فى استنجد الى أمثى تجلس وحدها بالقرب منى وبالطبع سقطت نظرتى مينة على أرض من الجفاء الصخرى البارز

والكهول أيضا قد صرت اليهم عدوى تلك القبلات . كرهوا فى أغلب الظن أن يطهروا أمام الناس اقل اقبالا على الحياة من أبنائهم . أكثر من كهل رأيت يضم زوجته فى الاتوبيس وقبلها . ليومها . أو ليقوم الناس لا أدري - بأن نار حبهما أحمى من أن تطفئها رياح الزمن . وطفل لواحد من هؤلاء الكهول رأى هذا العنظر بين أبيه فهب من مقعده وانطلق الى مكان الحادث بالسرعة الاوديمية المناسبة . ماذا شفتيه نحو السيدة يطلب نصيبه من الوليمة . ولقد مالت صديقا مقبلا هنا عن السبب فى هذه العواطف الشرعية الزائدة فقال أنها لا تزيد على كونها نوعا من الرشوة يقدمها الرجل الانجليزى لزوجته وهما فى الطريق الى المنزل عقب السهرة . أو هى نوع من الساندويتشات العاطفية التى يطعمها أباهما فى الطريق حتى إذا ما ضمهما المنزل لم تطلب المشاء

وهى روتينية جدا تلك القبلات الى درجة اننى رأيت شابا - شابا لأكهل - يزرع فمه عن فم صديقه لكن يتناف ثم يعاود القبلة من جديد

والغريب فى الأمر أن شيئا من الشعور بالذنب لا يبدو على وجوه مرتكى تلك القبلات . لأنهم لا يشعرون - كما أشعر أنا الشرقى - أنهم . يرتكبوها . فى راحة تامة يتبادلونها ويهلمون أن المجتمع سوف يباركها . وأنه قد يسخر منهم لو أنهم مصريين عنها القبلة الشريرة فى المجتمع الأوربى قد فقدت كل ما يحيط بها فى الأماكن الأخرى من شحات مفسدة وأخلاقية مفرطة . وصارت مجرد وليمة بيولوجية مثل تناول الطعام .

فإذا لاحظنا أن معظم أولئك الشبان والشابات أصغر سنا من أن يكونوا أزواجا أو حتى على وش جوان فيبدو أن الجنس كله - وما انقبلة الا رملة - قد صار هو الآخر مجرد ظاهرة بيولوجية لا دخل لها بالأخلاق . ولعل المجتمع الأوربى قد قال لنفسه أن هذه الأشياء سوف تحدث مهما حاول منعها . فلماذا لا نتوكلها تدور علنا وفى الهواء الطلق .

ومواء كان هذا المنطق سليما أو غير سليم بينه وبين المسيحية التى تدين بها أوروبا . فالطهارة التامة نقطة أساسية فى تعاليم المسيحية التى توشك - فى بعض المدايح - الان تحفل الجنس الا بوصفه شرا لا بد منه لبقاء النوع . تماما مثل الإخراج . للمسبولوجى لا السينمائى ! الذى هو شر لا بد منه لبقاء الفرد ! فيبدو أن أوروبا المسيحية السابقة شىء غير أوروبا الصناعية الحديثة . وأنه يعد تلك اللون الطويلة التى أضاعتها الأولى فى محاولة إلغاء الجنس كظاهرة . وأت الثانية أن تستعفى عن ذلك بإلغاء الجنس كمشكلة . ولعل الصناعة قد خلقت لها من المشاكل الصناعية الكبيرة ما حمل لزاما عليها أن تبدأ بإلغاء تلك المشكلة الطبيعية الصغيرة

من لحظات الفراغ لكي يسطر للدمام كفه ويلخذ منها فكرة عن غيبه الخاص .

وشاب تهجم على حجرتي بالفندق ذات صباح . وبدون لاجم ولا دستور توجه الى النافذة فرفع زجاجها وخرج منها . ظننت بالطبع انه انسان تعس طرد من عمله او خاسته زوجته مع اعز اصدقائه فقرر ان ينتحر مختارا نافذتي بالذات لكي يثير الرب حولى لقرض في نفسه .. لكن الله قدر ولطف وتبينت انه يريد ان يشتغل لا ان ينتحر ، اذ اكتفى بالتشغل في النافذة من الخارج مع اخراج خرقة ينظف الزجاج ويلبسه بها . كارها فيما يبدو ان انظر من خلال الزجاج القائم لتفتتني احدى التفاصيل الهامة في الشارع اللندني

وشاب اخر ظن لسبب ما اننى احب شرب اللبن في الصباح ، مع اننى اكرهه في كل الاوقات ... فتعمد ان يصحو كل يوم من النجمة لكي يضع زجاجة منه امام بابي . لا يمنعه من ذلك ان تكون السماء كما يقول بنى جتسه تمطر قطا وكلايا .. وهو يصل دائما في نفس لحظة وصول ذلك الرجل الطيب الآخر الذي علم اننى اكره تراكم القمامة امام باب الفندق . فتردد لحظة ثم تنهد في استسلام واشتغل وبالا .. شأنه في ذلك شأن الرجل الطيب الآخر الذي قرر ان يتولى كسب الشارع . باحدى يديه يمسك المقشة الطويلة وبالاخرى يمسك الباب . متفحفا ارض الطريق بدقة محموده من وراء منظاره الطبي

وفي نفس الساعة المبكرة يصحو سائق الاوتوبيس مع الكمساوى . وقد تصحو بدلا منه والدته المحزون الطيبة التي قطعت لي التذكرة اكثر من مرة وهي تقارم السقوط بصعوبة كلما انحرف السائق بالاورتوبيس . وذات يوم تولت قطع تذكرتي اختي لا والدته . وكانت جميلة جدا الا انها في الوقت نفسه عنيدة جدا . رفضت رفضا باتا تلك الفكرة التي عرضتها عليها بان تجلس مكانى واتولى انا قطع التذاكر ا

وشاب طويل وسيم يشبه احمد مظهر . ظننت لحظة دخولى الى حجرته انه مدير المكتب او وكيله . ثم تبينت من حملة لفستان شائ الخالى انه ليس اكثر من فرائس المكتب . وفي ليلة اوجه بدلتى وبوقلر شديد خروج من الحجره لكي يشتري لاهد بوطلين سلكويتشا وعلبة سحائر . . . وسبواالى عن مرتبه قبل ان نحو من ١٥ حنينا لاغير . في الاسبوع ياخولا في الشهر ا ماذا كان التسول يجلب البشاسات لالمعمل كما ترى يعلب الجنيهات في لندن كما علمت قلما يقل اجر العامل . حتى انكاس ابو بارف . عن عشرة او ثمانية حبيبات في الاسبوع . وهم في مقابل الحق يقال يعملون بمعنى يعملون . ثمانى ساعات متواصلة لا سريحو منها الا نصف ساعة يخضعون فيها لخمسة سريعة ومصار فوة .

لكن من الانجليز من لا يحبون قبض مرتباتهم بهذه الطريقة . فمفضلين ان يتوصلوا بطريق اخرى الى قبض مرتبى انا . . . منك اماكنيات المنتشرة في البلد مثل صنايق البيوت . داعية اياى الى ان اودع في ثقب منها سسا واحدا فيبرل لي من ثقب آخر سسة . . . ولقد نزلت لي فعلا تلك البشاسات السسة . بعد ان اودعت في ثقب العين ستين ينسا ا

او بيئت حلوة توصلوا الى اقناعها بان تلك امامى في احد لاهى سوهر . متجربة من نياها فطعة بعد فطعة حتى تصبح كما ولدتها امها . . . كاتما حسبونى ولدى المراهق . . . وكان موضوع لمينى والميكرو . قد تركت شيئا من هذا القصور في ثقافتى لشربحية ا

لكى منهم من يجب ان يبيعنى في مقابل مفودى شيئا حقيقيا يحتاج اليه جسمى ياكمله او عضو واحد منه . من الخارج كبيلة ليسها او حذاء . او من الداخل كدجاجة اكليا او كناس اشربها . ومن اجل ذلك ارتفع في شارع اوكسفورد محل اسمه سلفردج . طوله محطة اتوبيس وعرضه محطة . وخمسة طوابق يلزمك شهر كامل على الاقل من التجوال فيها قبل ان تستطيع ان تقول -

صادقا - انك قد الفيت على كل وابون من وايوناتها نظرة عابرة ١١
بهوى طبعا ذلك الخواجة سلفردج ، ومنذ عهد قريب كما سمعت
باع هذا المحل بذلك الرقم الصغير المعلوم ، سبعة وخمسين مليوناً
من الجنيهات الاسترلينية !

متجر عملاق بجانب عشرات العملاقة المتشابهة في ذلك المتجر
الكبير المسمى لندن .. وبجانب كل عملاق من تلك المتاجر بنك
يحتضنه في حنا من مصرفى مؤثر ، وبجانب كل فرع من فروع تلك
العملاقة « فرع لكل حي من احياء البلد .. فرع للبنك يضمه في
نفس الحنا ١ ، والبنوك في معظم الاحيان عالية اكثر من اللازم ،
لكي تتسع من ناحية لكل ما فيها من الفلوس ، ومن ناحية اخرى
لكي تضمن لك الراحة الابدية اذا مارميت نفسك من فوقها في
لحظة بورصية عصبية .

خفيف البنيكتوت في ايدي السياح الذين يفدون الى لندن
كل يوم من الف مكان ، وشغلة في حبيبي لكمية من العملة تهبي
لي امنى من الاغنياء ، وما هي - واحسرتها ! - الا بقية الجنيه التي
اودعته في لحظة تهور في خزينة سلفردج ١ فملاخرج بنسا منها
واستمتع بصوت رنينه على سائر البنسات في زكينة الرجل مقطوع
الساق ، وعلى انعام الماندولين ابتعد لكي اعبر الطريق تناسيا
بالطبع ان انظر الى عيني بدلا من بشارى .. وفرملة حادة لرولز
فاخرة سوداء كادت تدعسني ، ليس من المستبعد ان تكون سيارة
سلفردج نفسه او الرجل الذي اشترى منه المحل فالحمد لله انني
لن ابقى في لندن فترة تكفي لان اموت قتيلا ، بسبب اولئك الناس
الشواذ الذين يصرون على ان يقدوا سياراتهم - بخلاف العالم
كله - على يسار الطريق .. وما كان في مقدورى على اية حال ان
ابقى في لندن طويلا ، فمن اين احصل على الفلوس اللازمة وانا لا
بهوى ولا اجيد العزف على الماندولين ؟

مصر في لندن

مجيدة يا عسلتي حيث تقفين على شاطئ التيميز ، شامخة رغم
الغربة تحكين للناس قصة المجد الذي كان مجدنا ، على شاطئ
النيل منذ اربعين قرنا ، قيل ان يمجج اصحاب التيميز في كتابة
اسمه او حتى في مجرد التطق به .. فهي صعبة بعض الشيء -
تلك تيمز - على رجل فرع لنوه من التهام سمكة تبت صاها بحرية
من الصخر الممنون وغاصت منها شوكة في لسانه واخرى في
حلقة البدائي

يسموننا هناك ابرة كليوبتره ، مدللين بذلك على جهلهم
الفاضح ، او على الاقل على اذراء العلماء منهم لثقافة العابر
العادي على رصيف فيكتوريا فهي من ناحية لاتمت الى كليوبتره
باية صلة ، ان سبت قبل مولد المذكورة بنحو من خمسة عشر
قرنا .. وهي من ناحية اخرى اكبر بكثير جدا عن ان تكون ابرة
مهما بالغنا في تصور الحجم الذي كان لاي من التريز او الخياطة
الفرعونيين .

بناها تحتمس الثالث في هليوبوليس عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ،
جالسا في ظلها وفي غلطة من حشيش صوم يحلم بأصجاد المستقبل
في مجدو والنهرين .. وبعد قرنين من الزمان اضاف رمسيس
الثاني الى مفروشها بعض كلمات من عنده ، ذلك الطفل الذي طالما
وقع في احسن التعاتلات حتى - او لا سيما - اذا كانت ملكية -
فلما غزا الاغريق مصر نقلوها من هليوبوليس الى الاسكندرية
التي جعلوها - لعبهم للطراوة - عاصمة رسمية للبلاد .. وهناك
تحولت من رمز ديني الى مجرد اداة للزينة

وخلال القرنين التالية لا أشك في أنها شعرت بقدر كبير من الوحشة والغربة والارتباك أزاء مالا يبرح يتهدد حولها من أصوات جديدة غريبة وكثير منها منكر .. هدير عجالات الرومان وتمدنات كليونبتره بين أحضان أنطونيوس على أيداع من صرير أسنان أوكتافقيوس ، ثم صليل سيوف عمرو بن العاص ونداء من فوق مثانة مشموقة كالمسلة يقول إن الله أكبر .. ثم سناك خيل الاتراك والمماليك بريين وبحريين ، الأصوات التي ما لبثت أن خفت في فرقات القنبر الفرنسي الذي قزل على الناس وما كانوا عاينوه من قبل

كل ذلك شاهده مله في صر فرعونى تشكر عليه حقا ، غير عالمة بنائية الخروح التي تعدها لها إقدارها المايعة .. إذ ولي حكم الملاد باع سجانر من قوله اسمه محمد على ، وفي لحظة انسجام تركى برم شنيه وقرر اهداءها للشعب البريطاني العزيز ، متوهما رحمه الله أنه مذبحه للمماليك في الثقافة ورث كل شيء في العزبة المصرية حتى مجد تهنس

وكان الغرض من الهدية مشاركة الانجليز في احتفالهم بنلسون ، تمجيذا لانتصاراته البحرية على فرنسا واسبانيا دعه من انتصاره البرى على لورد هاملتون .. وتمجيذا في الوقت نفسه لانجليزى آخر اسمه سير الف ابركرومى .. درس القانون كما يقولون ثم هجره مفضلا عليه شريعة الغاب ، ومات في ابوقير وهو يطرد من حول المسلة ماتقى هناك من فلول بومبارت ،

ما خطر قط لولى النعم وهو يقشش على الانجليز بالمسلات اهم على وشك تسجيل انتصار آخر لن يرتاح اليه كثيرا ، انتصارهم شخصيا في حرب المورة وتحطيم اسطولهم في موقعة نافارين ، وهناك ظفرت اسمك البحر الابيض موهبة اكبر من اللازم من اللحم المصري المملح بإحلام الباشا الدخايفى ، الذى انضح آخر الامر انه لم يكن جنديا من معدن ممتازا

غير أن صعوبة شحن مثل هذه المسلة الضخمة ٢٠٠ طن مريبا ، كانت سببا في تأجيل الرحلة حينما من الزمن ، ولم يعمد لاسيما الى تنفيذ العملية الا في سنة ١٨٧٧ إذ صنع لها راحل حديزي اسمه الارموس ويلسون اسطوانة ضخمة تحميتها من عاء وتسحب فيها من الاسكندرية الى لندن ، تلك الرحلة التي يدل حدى الأحداث على انه قد صحبها من الهة احدى الف اعة بلغة .. فلا بد ادهم عقدا اجتماعا مريبا برئاسة امون ورع ، ذلك الاحتجاج الذى تمخض عن انتداب اله الريح ، شوه للسفر الى خليج يسكنى نيكور في انطار السفينة ، إذ هب هناك من الرياح ما عصفت بتلك السفينة وقذفت بها على صخور الشاطئ ، وما اشك في ان ايريس قد اسهمت في استنارة غضب الأمواج بشيء من دموعها ، وان نقصا في الفيضان - لهذا السبب - قد شكاه من المزارعون على شاطئه النيل

وفي تلك العاصفة مات ستة بحارة من طاقم السفينة وحررت المسلة في اسطوانتها على احد الشواطئ المقفرة ، وعام كامل مر قبل أن يعادوا البحث عنها وينقلوها الى لندن بمعرفة رجل اسمه جور ديكسور ، وهناك اقيمت على شاطئه التيمز غير بعيد من القصر الملكى ، لكي تتمكن الملكة فيكتوريا من رؤيتها كلما خرجت لتمشى رجلها الملكيتين

من ذلك اليوم صار اسمها ابرة كليونبتره وصارت أحد المعالم السياحية في مدينة لندن ، وهناك سمعت اليها على شاطئه التيمز ، ومارا بقبلة سياحية عنيفة ولندنى حاحظ العين يحل لامة طوبلة تقول ان النهاية قد اقربت ، وصلت اليها ووقفت امامها انوار صلاة فرعونية صامتة ، وأشى سائحة صعدت السلام القليلة المؤدية اليها واستنت ظهرا عنها مع التقصع ، بأسسه للأكسيرا التي يصوبها اليها صديق العائلة ، وسائحات اخريات عن منها فاقلمر وحدود حذوها ، رفصات لى يفسد الى ملاهى وليس في ملهوس اثر من ابرة جدتى والجميع يرمون بي ولا ينتبهون الى

غير عالمين - الجهلاء - أنتى الوريث الشرعى لتلك العسلة ولكل
 ذلك العبد الذى كان فوددت ان اعطى تلك السلام واشرع فى
 القاء كلمة تعرفهم بشخصى .. لكننى اثرت ان اؤجل الامر لحين
 لحظة من التمسخ النفسى تصيبنى فجأة فى هليلد بارك
 وما كنا بالطبع لنفهم شيئاً من المكتوب على تلك المسلة لولا
 العثور على حجر رشيد ، الذى نقل هو الآخر الى لندن لكى يتصدر
 السهر الفرعونى الكبير بالمتحف البريطانى .. ان مثله الانجليز من
 الفرنسيين عندما هزموهم فى ه امرفير .. بقيادة الوغد صالف
 الذكر ابر كرومبى ، ولعلهم ان لم يسلبوه لآخذوه مع المسلة بعد
 حين على منبيل الهدية من اليانسا الفنجري .. وكما حولوا المسلة
 من مسلة الى ابرة حولوا ذلك الحجر من حجر رشيد الى حجر
 روزينا .. تعميدا له باسم غريب كى لا يتذكروا انهم سرقوه كلما
 نطقوا بكلمة رشيد

لان الهة الفراعنة كانت قد نفخت فيها فيما يبدو من الامر كله ،
 واجدة انه من المسخف الاصل ان تقوم بكل العمل فى حين يجلس
 احفادها لمجرد الفرجة .. ولذلك امتلا المتحف البريطانى بتلك
 المجموعة الهائلة من اثارها ، من الاسورة التى كانت تستخدمها
 الانثى الفرعونية العادية فى تزيين معصمها الى رأس هائل من
 الجرانيت الاحمر لثحتس الثالث ذات نفسه .. وذراع طولها عدة
 امتار من تمثال مكسور لوسيس ، واسود امينوفيس وابضة فى
 صمت حزين وسط اصدااء بعيدة لتواتل كهنة امون فى كتاب
 النبوته

وموتى كثيرون فى ثوابيتهم المزركشة الواقعة مثل صف من
 الحرس ، ولى صندوق زجاجى كبير ترقد مومياء لبنت مصرية غير
 معروفة .. يسموية وجدت نفرة اراها منها بين فخذهين جريئين فى
 الميكروجوب ، طاردا من دماغى حكمة عيئلة لامي العفاهية عن
 الولادة للعبوت والبناء للخراب .. ولا شك فى ان افكارا مماثلة دارت
 فى دماغ ذلك الحشد من السياح وهم يفتنون البصر بين

الميكروجوبات وكفن الميت التى لابد قد خطرت ذات يوم فى
 مسكن من الكنائس الشفاف ، سائلة لب اكثر من ذكر مصرى
 جان

حبيدة يا اينها البنت المحنطة وياحجر رشيد لا روزينا
 ، اذراع رمسيس ويا رأس ثحتس ، ويا مسنلى حيث تقفين تحت
 اطار لندن حاكية للعالمين عن العهد الذى كان

الفرق بين جورج وماري

لا بد أن شكلي قد بدا غريبا بعض الشيء للإنجليز - أو على الأصح للثلاثين منهم - وأنا أسير في الطريق العام مشعري الرجعي الحليق . وبذلك الكرافة العنابية على صدرى بغير مناسبة وأصحة خلال فتحة الجاكيت التقليدية ، فلعلى ما كنت أجرو على السير بتلك الصورة الزسعية لولا أن الكهل الإنجليزي ما زال يسير بنفس الصورة الرسمية وأكثر . بتلك الجاكيت الرمادية المخططة المحبوكة على جسمه ، ولصديري التقليدي دى العنبرين زوارا . والقبعة الهندسية الصغيرة التى يبدو أنه يحملها أكثر منه يلبسها فوق شعره الحليق مثل شعري . فالحمد لله أننى لست مضطرا مثله إلى أن أقيم إلى الأبد في لندن ، متحملا تلك الهمسات المرححة التى تدور حولي وأنا أضيع دقيقة كاملة في عقد أزوار الصديري . والسمات المحابية من انشائي كلما مروا بقبعتي المصحكة حيث علقنها على الشماعة بجانب باب السكة . دك من الضحكات المتكومة وهم يروى أخرى بالنشط في شعري الأشيب الحليق . لأن الشبان الإنجليز كما رأيته لا يمكن أن يكونوا قد رأوا الدلائق منذ أجدوا الابتدائية . ومنهم من يستبعد أن يكون قد سمع بالحلاق أصلا . أقصر شعر على رأس شاب لا يمكن أن يكون قد حق منذ عهد حكومة المحافظين أو على الأقل - في الحالات النادرة - منذ دولة برلمانية كاملة

خفانة كبيرة لأدائها وقعت ذات يوم بين ذلك الكهل الإنجليزي الرسمي وبين إبنائه حين رفضوا الذهاب إلى الحلاق . أو حين تظاهروا بأنهم قد ذهبوا إليه ثم عادوا وشعرهم أطول من قبل !

وبحسب الخفانة جدل هادى - أو حاول الآب أن يجعله هادى - حول الرجولة وطول الشعر . وهل تتركز رجولة الشاب في شعره أو تشيع في مختلف أنحاء جسمه . مثل ذلك وشعر الأولاد لا يرحب بضول . يوما بعد يوم يتهدل على اكتافهم وملحبط الكهل المستعصر بينهم وبين أختهم بريارة . هادى الرجل أنه أضعف من أن يحوض معركة ضد روح العصر كله . وأهتك في حريدته منطافرا بأنه لا يلحظ شيئا عربيا . وزيادة في التعمية على نفسه لا يرفض بين الحين والحين أن يدفع لهم بصفة ثلثات تقي باجر الحلاق الوهمي . وحسبه على سبيل العزاء أن حوفه على مستقبل الأولاد كان في غير محله . وإن شعورهم المنهدة على أوراق الأستة لم تمنعهم كما كان يتوقع من السحاح في الامتحان عاما بعد عام . وكذلك راض الرجل نفسه على الثورة الكسائية التى أعلمها الأولاد . فالتب أنهم في علاقتهم بالملابس لا يهتمون أن يشتروها بقدر ما يحبون أن يحنروها ملابس عربية يصممونها وفقا لأهوائهم . وأربما مرت فترة من الزمن وهم يلبسونها قبل أن ينجحوا في العثور على أسماء مناسبة لها !

واحد من أصحاب تلك الاختراعات الكسائية جلس أمامي أنا ذات يوم في القثرو . وأنه الجسم في شيء أريق المليون يشبه عذينة العمال دون أن يكون عصرية . وما كنت لأعرف - أراء شعره الطويل المتهدل - أنه واحد لا واحدة إلا من ثار الموس في نحيته التى خلفها في الصباح . وعن يمين جلس صديق له يرتدى عذينة رقاء مماثلة . وشعره على العكس منه قصير سرجة تماقفي مشددة مع روح العصر . الأمر لذى يقطع دانه يحصر من أسرة من علاة المحافظين أن لم تكن من المتطرفين

وفجأة رأيت الشاب الأول - طويل الشعر - يمد ذراعه فيحيط بها بحصر الآخر قصير الشعر ويشوع في طمع القنلات - صدق أو لا تصدق - على خذه وشفتيه !

نفعمنى من الدهشة والاستنكار كل ما يمكنك أن تتصوره . حتى بالرغم مما ذكرت من رفع التحريم عن الشذوذ الانجليزى بقرار من هيئة موقرة كالبرلمان ولم يفارقنى شعور الصدمة الا عندما توقفت الفيلات وسمعت الشاب طويل الشعر يخاطب الآخر قائلاً له يا ماري : فهو وفقاً لهذا الاسم بنت لا ولد . اللهم الا اذا كُنَّ الامر قد وصل به الى درجة اتحاد ذلك الاسم النسائى . وحوثة متأنية منى فى تضاريس جسمه الشائبة وراء العفوية الزرقاء - جولة بصورية طبعاً - اقمعنى بأنها بنت فعلاً ، الحفيلة التى تذكنت عندما نطقت الفتى الصوت الانثوى العذب

أى أدنى قد احضرت حين حكمت عليها بالذكورة استناداً الى شعرها القصير . كما كان يمكن أن اخطئ لو حكمت على صاحبها بالانوثة استناداً الى شعره الطويل فعلاً الشعر قد صار فصيلاً للفرقة بين الحسنيين كما ترى لا الثياب . الامر الذى قد يحدث الكثير من اللبس اذا آمن شباب العصر فى هذا اللون من التكرار الجنسى . فربما اتى يوم يتعذر فيه عليك معرفة الولد من الفتى ما لم تستوثق من ذلك بالسؤال المباشر . او بان تنتظر - اذا لم تكن هناك معرفة سابقة - حتى يدخل الكائن منهما الى الحمام فتنتظر اليه من ثقب الباب .

وسط هذه الكائنات الغريبة لا مناص من أن يشعر التقليدى بالغربة الحقيقية وسط أولاده ولعله يقول لنفسه - اذا كان متديناً - انهم علامة من علامات الساعة . لكن هذا الكلام لا يعمل المشكلة طبعاً . من ناحية لأن معظم الشواهد الملمكية تدل على أن الساعة ما زالت بعيدة بعض الشيء . ومن ناحية أخرى لانه لا يخلو من العزور الصمباني ذلك الوسيط بين الساعة - اية ساعة - وطول شعر الكائن البشرى عند قياسه بالمسطرة

ومن السهل أن نتحس المشكلة بان نصف اولئك الشبان طوال الشعر بالميوعة او بالرقاعة . الامر الذى لو صح لوجب تعليق لافتة

فى مطار لندن تقول للقادمين مرحباً بكم فى عاصمة الرقاعة . ولوزعت أكثر من نشرة سياحية تقول بأرقعاء العالم اجتمعوا فى لندن ! ولكن الامر لا تحل بهذه السهولة . واذا كنا هنا نصف شباب طويل الشعر بالرقاعة فذلك لانه لا يفر عن شىء سوى رغبتة فى التقليد الاعشى . اما اذا راينا حيلاً كاملاً من الشباب العربى يرسل شعره فحديراً بنا أن نتردد قبل أن نستعمل تلك الكلمات الكبيرة العائنة عن الرقاعة والميوعة وانتحدث الى احدهما فى قاموسنا الاخلاقى فلبسوا رقعاء ولا مخضين اولئك الالف من الشبان طوال الشعر الذين عرصوا أنفسهم لهرافات الموليس وعازة المسيل للدعوى وهم بهاجعون السدارة الامريكية وهيتون لسن . ولا اقرانهم الفرنسيين الذين مصبوا المناريس فى شوارع باريس واحتلوا السورمون فى سبيل قضية يؤمنون بها

اما هم يريدون أن يقولوا شيئاً بتلك الشعور الطويلة وبلك الملابس التى توقع اللبس بين الذكر والانثى هم يبحثون كما بخيل الى عن مفهوم جديد للرجولة . كارهين أن تحصر رجولة الرجل فى شعر يحلقه او صديرى يرده على صدره تحت جاكته كنيية مخططة . ولعلم كرهوا مفهوم الرجولة التقليدى كله . وارادوا ان يثبتوا أن شاباً طويل الشعر يحتج على حرب فيتنام لاهسن وأرجل من رجل قصير الشعر يشعلها !

لو اوتوا البلاغة الكافية لاحتجوا بالكلمات . لكنهم فى زحام المشاعر المتلاطمة المنحشرة فى عرق الزحاجة قنعوا مؤقتاً بالاحتجاج بالشعر الطويل واللبس الغريب . هم يتكبرون مادامنا كلها نحن الكهول . وما شعرنا القصير وتياسا المهذمة الا رسماً لتلك العبادى . فلو اننا كنا مطيل شعرنا - نحن أبناء الجيل القديم - لحلقوا رؤسهم زلطة . ولو كما تنس العفاريت والميكروحيات للبسوا السموك شباناً واللبس شابات !

هم يحتقروننا ولهم والله عذرهم . بشعورنا الحليقة ورجولتنا

الغريزة يرسلهم الى كثافة بفاع الارض ليعتوا الناس وليموتوا
وشعارات كدورة ترددها على اسماعهم عن حقوق الانسان بدون
تعريف دقيق لذلك الانسان . هل هو الرجل الكاذب في سبيل
ساندويتش من الكلاب الساخنة او الرجل البكير الحالس يحصى
نفودا تفوح عنهم رائحة البعاه والبارود . ومعايد ندعوهم اليها
ليسمعوا صوت السماء . وما في سمائنا الا طائفة من الشياطين
الذرية تعوى وتحقق قرائيم الملائكة .

مارضنا في الحقيقة في حال من الموضي التي تثير في النفس
كسلا شديدا عن التردد على صالون العلاقة . والله لو عرفت -
انا الكهل - ان شعري سوف يتهدل لو ارسلته لفعلتها من زمان !
لكنني اعرف انه سوف يرتفع الى اعلى ويشلبك ويتفقد حتى
تصبح راسي مثل حقل من التبن الشوكي ! وبمثل هذا الشعور ان
يكون لي نفع كبير في غير يوم يخطر لزوجتي فيه ان تزحف السقف
وتتلفت حولها ماحطة عن راس العدد فلا تعد سوى راس العدد لله !

ذوات العيون الجريئة

الصعوبة العنصرية لذكر شرقي مثلي مرغت بصري عن الثروة
لتشريحة المضيق من جوف الميكروجوب الجالس امامي في مترو
ليون . ذلك القوب الذي لا اجد شيئا اخذه عليه سوى ما لا بد انه
سوف يضيغه على العريس من مباحج الاكتشاف في ليلة الزفاف
ورفعته - بصري طبعا - الى وجه الفتاة صاحبة القوب حيث استقر
منه على عيني زرقاوين واسعتين طالعتني فيهما ذلك الشيء الذي
طالما حيرني كلما نظرت في عيون بنات الغرب . والذي يمكنك ان
تقول - اذا اردت ان تحسم الامر بسرعة - انه نوع غير متوقع من
الحراة والحدة والالتحام في الحين الحريمي

نعم هي جريئة جدا عيون بنات القرب . جريئة وصريحة وحرة .
مع رجاء مني للقارئ مالا يضرع في التمسحة بانف الشرقي
وباحثا في تلك الحرية الجريئة عن اية رائحة للجنس . قرب نظرة
حيية متلصصة في اعين ناعسة شرقية تثير من احياءات الجنس
اضعاف ما تثيره تلك النظرات الجريئة في عيون بنات الغرب . فهي
جراة من نوع جراة الرجل في استطلاع ما حوله من الاشياء وفي
تفحصها واطانة النظر الى ما يثير اهتمامها . تلك الحراة التي
لا علاقة لها بالحسن من قريب او بعيد . فملك محتاح الى ان
تلوص في اعماق الويف الغربي لكي تعثر على تلك النظرة الشرقية
المتلصصة في عيون البنات . تحت ظن مبين بان تلك النظرات
العنصرية المتقدمة شيء يتنافى مع ادب الانثى او حتى مع
شرلها

ومن حقبة يدها اخرجت الفتاة طلبة سجانر كنج سايز . ومن

العلبة أخرجت سيجارة رشقتها - عقبال الحباب - بين شفتيها ، وسحابة من دخان عاطر غادرت صدرها وتسللت الى صدرى لداعب الشعب الهوائية الدقيقة فى رثى . فلو ان شيئا من ذلك حدث فى ترام القاهرة لربما سوى تلك الدخان فى تخاى الشوكى حتى وصل الى اصابع قدمى ، متسببا فى صدمة غير متعمدة من هذاى لعداء السيدة تحت الكراسى . على سبيل رد الفعل المنعكس الناشئ عن فكرة خاصة بشأن الانثى التى تتعاطى الكيف فى مكان عام !

لكن منظر هذه المدخنة السكسونية كلز مختلفا تماما ، وما استطعت ان اقرا فى تلافيف الدخان المتماوج بيننا اى شيء غير ما افروء فى الدخان الصبغت من فم اى ذكر خرماى بنفس البساطة التى اعالج بها سيجارتى تعالج هى سيجارتها ، يا صبعين طويلتين مخضبتين بمزيج من المانيكير وصفرة النيكوتين فى اشتاقت للسيجارة فاشعلتها ، ماذا فى ذلك ؟ ولماذا يكون من حقى - انا الذكر - ان انفخ دخانى فى وجهها دون ان يكون لها حق الرد بنفخة مماثلة ؟ منطلق معقول بغير شك وان كنت ارجو الا تستنتج منه اننى اشجع الحريم على التدخين فى الاماكن العامة او فى اى مكان آخر ، فلاشك ان مدخنة شرهة من هذا النوع سوف تنخرط كل صباح فى نوبة من السعال والبصاق بصورة مزعجة لزوجها ، بل ومزعجة لصديقها اذا تصادف وجوده فى تلك الساعة المعكرة

ومن خلال الدخان رايت فى العيون الجريئة نظرة اقرب الى ان تكون زغرة . ان طال تعرضى فى وجهها بما اوقعها فريسة للطنون ، متوهمة اننى ارمى بنظراتى المتطفلة الى اكثر من الدراسة الباردة لما هو محتمل فيها من نموذج للانثى الشوية المعاصرة فى شمال غرب اوربا فنادرت الى غضى البصر مخافة ان الصق تهمة الوقاحة بمنى جلدتى عن اهل الشرق ، وليست غلطى بالطبع انه -

بصرى - وقع من جديد على الركبتين الجريبتين وما يتاخماهما من الملحقات الميكروجوية

لحظات من التأمل الصامتة للأنوثة الصارخة هناك ، ثم خطرت لى الفكرة التى جعلتنى اعود ببصرى الى عينيها ، شاعرا بانى قد وقعت احيرا على سر ذلك الشيء الغريب فى عيون منات العرب نعم هو نوع من الجراة والحرية كما اسلفنا ولكن الامر فيما يبدو اخطر من ذلك بكثير . لان تلك الجراة النصرية ترجع فى اغلب الظن الى ذلك السبب غير المتوقع بالمرء من لابسة هذا الثوب الصغير . انه لا يوجد عندها اى نوع من الشعور بانوثتها ، مثل الرجل تنخر الى الحياة بجراة ومثل الرجل تنفخ الدخان فى وجوه الاغراب ، لا لاسها فاجرة او لانه مستمتعة فى الدفاع عن حقها فى المساواة ، وانما لانه قد مريت فى تطورها بعدد من المراحل التى استنها نهائيا انها تختلف عن الرجل فى اى شيء ، نهائيا تسيت انها انثى ، ولعلها ما ليست هذا الثوب الصارخ الا خوفا من ان اتردى انا الآخر - الذكر البشرى - فى تلك الهاوية من تسيان حقيقة انوثتها !

من هنا نشأت تلك النظرات الحرة المفتحة . وكل ما احب ان اسميه بالحرية الحركية العامة لاسى الغرب فلعلك قد لاحظت ان هناك طقوسا خاصة لحركة الانثى الشرقية ، حتى عندما تكون جالسة لا تعمل اى شيء . الجلسة الملمومة مع وضع ثابت معلوم لكل عضو من اعضائها . والامساك عن اتيان اى حركة عنيفة او مفاجئة تتعالى مع مفهومها العلم عن اعنارات الحشمة - فوى اسنى قبل ان تكون انسانا ، ولربما اشتد شعورها بانوثتها حتى يوشك ان ينسبها انسانيتها . ولربما خالط هذا الشعور الزائد بالأنوثة موع من الشعور بالنقص او حتى بالاثم ، واحساس عام ، بالعورة ، يشيع فى كل كيانها كالى الله تعالى يريد ان يعاقبها حين رقص ان يخلعها رجلا . وحين ارسلها الى الحياة فى تلك الصورة الانثوية

الناقصة . الى الابد تسير في الحياة محفورة الوجه وسط الاف
العيون الزائفة .

كل ذلك خلصت منه الانثى الغربية تماما . ومن كافة الطغرس
الحركية التي تفرسها سائر المجتمعات على أنثى البشر ، وهو بغير
شك كسب كبير لها . ذلك الشعور الحديد بانسانيتها من قبل
انوثتها . وتلك الشخصية المريضة المنطلقة مثل شخصية الرجل
وهو في الوقت نفسه كسب للاطفال الذين تشرف على تربيتهم .
والذين يتشربون يوما بعد يوم بتلك الشخصية المريضة المفتحة
لكنني اتردد كثيرا قبل أن أقول انه كسب للرجل الغربي . الذي
لاشك في أنه يحتاج الى قدر كبير من التنبه المجهد في طبقات
انسانيتها الكثيلة قبل أن يصل الى الانثى الرابضة في أعماقها .
ولعل هذا هو السبب فيما لمحت هنا وهناك من شواهد صغيرة
توحى بأن الانثى الغربية قد بدأت تتسلم زمام المبادرة في تلك
الأمور ، وأنها هي التي . تنكش . الرجل بنفسها عندما تتذكر فحاة
أنثى ! وفي القبلات الكثيرة التي لا تبرح حولى في
الشوارع والأتوبيسات . وليس هنا موضع تقييمها أخلاقيا . كانت
الانثى في معظم الأحيان هي التي تسعى اليها . غير متحرجة في
سبيل ذلك من جذبة مرحة للذكر العتود مع مط تحوه للبور اللانم
العطشان !

ومهما بحثت عن فلسفة تفسر بها هذا التطور في شخصية
الانثى الغربية فلن تجد شيئا سوى العمل . العمل من التاسعة
صباحا الى الخامسة مساء بدون توقف الا للقمة تخطلها في
منتصف اليوم وفنجان قهوة . مثل الرجل تعمل ومثله تعامل حتى
نسيبت - كما نسي الرجل - انه يوجد بينهما أي فرق . والدليل على
ذلك أنه حتى في مجتمعنا الشرقي الذي نزلت المرأة فيه الى ميدان
العمل منذ عهد قريب . يمكنك أن تلاحظ الفرق الشاسع بين المرأة
العاملة وبين ست البيت في النظرات الحريية المفتحة . في
الحرية الحركية العامة . والحمد لله على أننا لم نصل بعد - وأرجو

١ نصل - الى تلك المرحلة التي احتاج فيها الى لكزة في جنبى من
- البيت أو تلك تنبهنى بها الى أنها بنت لا ولد !
وانثى سكسونية أخرى جلست أمامي في مترو لخرة . فاما كما
لاحظت فبعث هيئة النقل العام السديسة بضدة . لاحظت أنها
غلب النقوس في وجهي بواحدة من تلك النظرات الجريبة نعالظها
عده العرة لمسة عذبة حائلة . فانتفخت أوداجي وإن كنت لا اعرف
على وجه التحديق ماهي أوداجي . وقتت في نفسي أنه لابد أن
كون محرو الشرق وقد بدا يفعل فعله في قلوب بنات الغرب . ولجأة
رأيت رأس البنت المحلقة يميل الى الامام شيئا فشيئا حتى كاد
يسقط على صدرها . لولا أن صارت برقعته مع الرمش الشديد
مالعينين . فلا سحر شرقي هناك ولا يحرس . والحكاية كلها أن
لمنت متعة تغالب اليوم . بعد يوم من العمل للمعهد الذي أدات
عن جسمها شحم الآونة كما أداه من قبل عن جسم أمها وجديتها
وفي ذاكرتي اقتش عن أي انثى مصرية وأيتها - الانثى المصرية
العامة - لم تصل حتى الآن الى الدرجة اللازمة من الاجهاد
واكون شاكرا لو طردت تلك الفكرة المسخفة التي اشعر بها بتلاع
في دماغك . فانا وانني بأن تلك البنت كانت محبذة فعلا . وأنه لا
توجد أية علاقة بين منظري الخاص وبين ذلك النوم الذي كبس
عليها فجأة

لم اكن مشتاقا لاكل الزبيب المغطى بالشوكولاته . ولكننى اردت ان امارس تلك المتعة المسيانية البرية متعة ان ادس قطعة صغيرة من العملة فى ثقب معين من الماكينة الشبيهة بالميزان الاوتوماتيكى . ثم اشد شيئا فى اسفل الماكينة لتطلع لى علبة الزبيب ا

ولست من عشاق الكازورة بمختلف انواعها . ومع ذلك فقد شربتها اكثر من مرة لنفس السبب . متعة الحصول على زجاجة البيسى عن طريق قطعة العملة اودعها فى ثقب الماكينة . ودعك من غلب السجائر التى اشترتها بنفس الطريقة من الماكينات الخاصة . التى لا تكتفى بان تعطيك العلبة التى اخترتها بل وتعطيك فى الوقت نفسه باقى النصف كراون ! ان تسمع شخلة لطيفة للبس الذى سقط من جوف الماكينة فى فتحة خاصة تمد اليها اصصا مرتعشة - من المتعة - وتحميه منها ا

وذات مرة وضعت قطعة العملة المطلوبة فى الثقب ودارا بها نزل فى الوعاء المخصص دون ان تقدم لى لى مقابلها اى علبة فالتقطت العملة اودعنها فى الثقب من جديد . واذا بها تنزل لى فى الوعاء المذكور مرة اخرى . كلما اودعنها نزلت لى واما لا اهم لى ان يحدث ذلك الى ان ظهرت لى على لوحة خاصة كتبت كهربائى تقول : لا بيع ! اى انها - الماكينة - قد صبرت على كل ذلك الوقت منتظرة ان اياس واصرف فلما وجدت لى لا اياس لم تحد مفرا من اخطار لى بتلك الكلمات انها تعتذر عن البيع لسبب او اخر فابتعدت عنها متلفتة حولى بالفخل المناسب من عباطى . وحمدت الله على اننى قد رايت تلك الكلمات وامتنعت عن مواصلة ايداع العملة ملحا فى طلب العلبة . فلا يستبعد لو اننى واصلت ازعاج الماكينة بهذا الشكل ان تظهر لى على اللوحة كلمة نهى . تزغضى بالزغم من انها بالكهرباء وتعملنى اضحوكة المكان

مطر .. وزبيب .. وجنس

شعور بالقيظ الشديد وبالتناقض العربى ساورنى حيث صرت رافعا فوق رأسى تلك الشمسية السوداء المضحكة . محتما فى شهر المسطس لا من شمسه المحرقة كما يقضى المنطق وانما من تلك الامطار اللعينة التى لا تبرح تتساقط على لندن طول الوقت وارجو ان تكون قد اهتمت عند كلمة " تتساقط " باعتبارها نكتة . فالمطر هنا لا يتساقط مثل سائر الامطار بل يهطل وينهمر وينسكب ويندلق الى اخر ما يحضر لى من الافعال المفرقة

فاقل ما يوصف به انه مهين للكرامة البشرية . ذلك المطر الانجليزى الوجد . كان السماء تمول على الارض او كأنها تريد اعلان رايها فى الجنس البشرى ببصقة كبيرة مركزة . فلا عجب ان ابتدع الانجليز ذلك التعبير عن السماء التى تمطر قططا وكلايا . وما اختاروا فى اغلب الظن تلك الحيوانات اللطيفة الا احتراما لاسماع العيال . فهم فى الحقيقة تمطر شعابين وغرائب وحلايف وتبوس ا رياح مثجلة تعصف حولى وتتفذ كالسم لى عظامى . امشير العصور نفسه لا يعرف بردا كهذا البرد . فلا بد ان اجلس ذات يوم لكى اكتب بحثا عن العوامل السيكولوجية الكامنة وراء انتشار الانجليز فى الارض وتكوينهم للامبراطورية . هم كانوا يريدون الخلاص بآية طريقة من جو بلادهم المنحط . ولعلمهم ماكانوا يطلقون رصاصا واحدة لو وافق اصحاب الفارات المشمسة على منحهم تاشيرة دخول ا

اسفخص على ذلك الجو ثم اسفخص

فلست ادري لماذا لا نستورد عندنا تلك الماكينات اللطيفة او نصنعها ، فلا شك ان ماكينة من هذا النوع سوف تدخل الى أكثر من قلب مصرى ، ولا داعى بالطبع لاشتراط الزمجب المغلف بالشكولاته او النيبسى . حسنا اى شكولاته تصنع عندنا او علة بسبتيه او باكو لبان .

وبالنسبة للتأروزة اعتقد ان تلك المتعة الاوتوماتيكية فى الحصول على الزجاجة سوف تجعلك أقل انزعاجا عند وصولك فى تجررك للمساكن الى الصرصار الصغير المصباح فيه . نعم نحن فى حاجة الى ذلك النوع من الماكينات فى هذا الوقت الذى اكثرت فيه من الحديث عن فنون التكنولوجيا

عن الحرية والابتذال

بخطوات واسعة واثقة سارت الفتاة فى لباس غريب لا تعرف ان كل بدلة اخيها او بيعامة اختها وعلى صدرها الحرى وبالخط العريض نقشت تلك الكلمة الصغيرة ذات الحروف الثلاثة SEX وهى معناها ان كنت لاتعرف الجنس . تلك الكلمة التى لاأظن انك -شأنك فى ذلك شأنى - قد رايتها مكتوبة على صدر اى بنت ، حتى ولو كانت من ذوات الدوسيهات

فاذا تركنا الاخلاقيات حاشيا ، واذا تركنا فكرة انه اعلان لا لزوم له بالمرة شأنه شأن لوحة اعقلها انا على صدرى تقول للناس اننى صحفى ، فليس من شك فى اننا لاتستطيع ان ننكر على الفتاة تلك الدرجة النادرة التى تتمتع بها من الجراءة والقدرة على التحدى كما اننا - وهذا اهم - لا بسمنا سوى ان نشهد بالقدرة الفذة للشارع اللندنى على قبول هذا اللون من التحديات . وسط الزحام تختال البنت باعلانها وليس ثمة من يفترض بطريقها او يلقي اليها مالا ، تماما كما لو كان المكتوب على صدرها اعلانا عن ماركة سجاير او فيلم سينمائى . او حتى حكمة او قولاً مأثوراً انظرات سريعة تقرأ الكلمة ثم ترتد عنها . بابتسامة صغيرة ساخرة هنا او هناك

اعلان كهذا لا يمكن بالطبع ان يظهر فى الشارع القاهرى ، حيث ان مفهومنا القانونى لما يחדش حياة الناس سوف يخلو كل العصاكر حق القبض عليها وكل المراطئين حق التبليغ عنها . ولكنه حتى بغير الناهية القانونية لا لظن ان بنتا بهذه الصورة يمكن ان تظهر فى شوارع القاهرة . فلو تصادف ان وجدت البنت التى تحتكم على هذا القدر من الجراءة - وهذا مستحيل - فهى تعرف جيدا ماذا سوف يحدث لها . هذا المشوار سوف يكون فى أغلب الظن مشوارها الاخير . بسبب مئات الثواب الذين لاشك سوف يتكالبون عليها لاسيما لو سولت لها نفسها ان تركب الترام حتى قبل تجربة شبرا - وهذا بالطبع ما لم يستل احد اهل الورع مسكينا او مطواة ، ومحوقلا مستغفرا يفعدها فى صدر البنت ويضمن قصرا فى الجنة ا

بديهي ان ذهنتك لم يتجه الى اننى - فى حديثى عن جراءة كل من البنت والشارع اللندنى - احبذ هذا اللون من العناوين على صدور البنات او على اى مكان اخر من اجسامهن . لالابتذال لم يكن فى اى يوم من الامور التى تستهوينى . انما اريد ان اسجل للشارع اللندنى قدرته الفذة على ضبط النفس ، وعلى ميالفته فى تقديس حوية الفرد حتى فى ان يبتذل نفسه

وفى النهاية لا افهم السبب الذى من اجله اکتفت البنت بتلك الكلمة الواحدة مع ان صدرها كان يتسع للمزيد من للتصريحات ولا شك ان عنوانا كبيرا كهذا كان يحتاج الى بعض السطور للصغيرة التفسيرية ، توضيحا منها لماذا تمنيه على وجه التحقيق بكلمة الجنس . هل هى مثلا معه او ضده ، هل تعنى به الجنس بين الانزاج او بين غيرهم ، على سبيل التسلية او التجارة ؟ وما الى ذلك من المعلومات التى يحتاج اليها غريب مثلى فهذا هو أحد العيوب التى ضابقتنى فى الانجليز ميلهم الشديد الى القموض

عن القبط البريطاني

كان يمكن أن يكون شكلى فى منتهى العياطة حيث قلت على الرصيف بإسقاط خريطة لندن ، متر فى متر ، لكى أعرف أين أنا على وجه التحقيق ، لولا أنه كان يوجد حولى نحو ستة أشخاص من جنسيات مختلفة وقد بسطوا خرائطهم الخاصة وراحوا بحلقى فيها على نفس الرصيف بنفس الحيرة ونفس التوهان ونفس العياطة

لقد احتجت الى اسبوع كامل لكى اكتشف ان نصف من اصطدم بهم فى شوارع لندن ليسوا من اهلها ، وان لندن قد تحولت من عاصمة امبراطورية الى ما يشبه حديقة الحيوان عندما يوم سم السليم ، فبعد ان قضى الانجليز قرابة قرنين من الزمان وهم يبيعون منتجاتهم فى كافة انحاء الارض بقوة السلاح ، وبعد ان جرى للسلاح ما جرى ، لم يجدوا امامهم طريقة لاستثمار لندن سوى ان يؤجروها مفروشة ا مثل التبل الذى تهدده مصلحة الضرائب بأشهار الملاسه فيزيل الاسلاك الشائكة من حول قصره ويجس الكلاب المفترسة ويفتح الابواب لكل من يجب ان يتفوح على امجاد التاريخ بعد ان يدفع للبواب ثمن التذكرة .

ومن المؤكد ان فى لندن اشياء كثيرة تستحق ان يتفوح عليها الانسان ، حتى بعد ان تسقط من حسابنا تغيير حرس الملكة والبطلة الاثرية التى شغقت بها رأس ان بولين بأمر من زوجها هنرى الثامن ، بعد ان كان قد خلق فى سبيلها زوجته الاولى كاترين ، مضطرا فى ذلك الى تحويل بريطانيا من الكاثوليكية الى

البروتستانتية . ذلك ان لندن تتميز على سائر المدن السياحية بخاصية فريدة حقا ، وهى انها المدينة الوحيدة التى يمكنك ان ترى فيها - أيا كانت جنسيتك - شيئا كان ذات يوم عندك أنت ! وهكذا تزدحم الشوارع بالآلاف الضائعين الذين يحلقون فى الخريطة بالدلالة السياحية المناسبة ، والمساحة الزرقاء التى تعمل على خريطة نهر التيمز فوجئت بها وقد تحولت بقدره قادر الى مجرى مياه حقيقى . تحت ذلك الوابل من الممر اللندنى الوغد الذى يصقته السماء فحاة لتفرق كلا من الخرائط والمقللين الذين يحملونها !

القبط البريطاني

أول مرة فى حياتى اقضى ليلة فى حجرة تحت الأرض . فى البديون - أو البديوم اذا كنت تفضل الميم - الذى يشرف من تحت الى فوق على رصيف الشارع اللندنى السبب فى ذلك بالطبع هو ضيق ذات اليد ، فمن أين أحصل فى لندن على العملة الصعبة وأنا الذى أعانى فى القاهرة كل ما أعانيه فى سبيل الحصول على الأخرى السهلة !

لكننى والحق يقال لم أشعر بكل ما كان يجب ان أشعر به من الضيق بسبب ذلك الضيق فى ذات اليد ، وذلك لما يسهل عليك تخيله من أنواع النساء المتوفرة فى عملية التطلع من أسفل الى أعلى اذا تصادف ان كان الوقت صباحا وفى عاصمة ربها الرسمى هو المينى جوب ! فبينما أنا أحلق الى تلك النساء من خلال القضبان الحديدية للنافذة وجدت شيئا من الصعوبة فى منع نفسى من ان أضحك لوحدى كالعبيط ، منذكرا ما يشكو منه سكان البديونات الانجليزية من النظرات المتطفلة لما يسمونه ، نوم البصاص ، ذلك الشاب الذى يتعمد التلخص بانظر الى مجريات الأمور فى تلك الحجرات الواطئة خصوصا عندما يحل من الظلام ما

يخفيه عن العميون وما بهيئ له لسكان الحجرة أن يخلطهم . إذ كنت
أنا - في ولغتي تلك أنظر الى مواكب الميئي جوب العابرة - أول توم
يتبصص على الناس من الداخل الى الخارج .

لكن ذلك الموكب البشرى ما لبث ان هذا بذهاب الناس الى
اعمالهم . ومن خلال القضبان الحديدية قابلتني عينان خضراوان
براقتان . في وجه مستدير لقطة بريطانية تقف على وصيف
الشارح . كثيفة الشعر نافثة الذيل منقبضة اللون ملطخلة بشدة
قلت لها ببسبب مفاجيتني من حيث ولغت على الرصيف قائلة نو .
الامر الذي طمأنني الى أن لغة القط في لندن هي نفس لغتها في
القاهرة . وأنه بالرغم من اللكنة الخفيفة التي تشوب نونوة هذه
القطه فلن يكون عسيرا على أن اتفاهم معها . وربما كان تفاهمي
معهما ايسر من تفاهمي مع اصحابها الذين لا تفهم بالرغم من
اجادتي التامة للغتهم المكتوبة شيئا مما يقولون .

وقفزة رشيقه نقلت القطه الى حافة النافذة . تسمعت بجنبها
لحظة في أحد القضبان ثم وثبت الل ارض الحجرة تتشعب الدنيا
حولها . رافعة في خلال تحوالها ذنبها النافث الذي قال لي انها
ليست قطه وإنما قطا .
- ناو ا

هكذا قال من جديد وهو يرفع نحوي نظرة خضراء مناشدة .
فندكرت علبة الفراخ المحفوظة التي كنت قد اشتريتها لزوم الغداء
مكثا شلن وسنت . ومن العلبة اخرجت قطعة نسيرة وضعتها له
على الارض فوق ورقة من الملحق الاقتصادي لحريدة التايمز .
حيث انه من المستبعد أن تكون هناك فائدة كبيرة لذلك الملحق
بالنسبة لرجل يسكن تحت مستوى التيمز . لاحظ الفرق بين
التايمز والتيميز لكيلا تتورط كعادتك في ذلك الخلط المضطك بين
الكلمتين .

في وقار لا لزوم له في ذلك الموقف تقدم القط من قطعة الفراخ .

تسمعها لحظة بأنفه السكسوني الحساس ثم رفع بصره نحوي
قائلا ناو . الامر الذي فهمت منه أنه لما انه يشك في الدوافع
الكامنة وراء هذا الكرم غير المتوقع عن ناحيتي . واما - وهذا
مستبعد طبعاً .

- انه لا يحب الفراخ

- ماذا تعني يقولك ناو ؟ لماذا لا تأكل ؟

هكذا سالتني بلفته الانجليزية فلم يزد على قوله ناو . وكان في
لهجته هذه المرة نبرة عتاب لم اهتم لها سبباً . ثم ادنى اتفه من
النسيرة وشمها من جديد . وبهيئة من يقبل على مقامرة خطيرة
قضم منها بأنسنانه فتعوتة صغيرة . لاكها حيناً في فمه ثم ابتلعها
بصعوبة . متوجساً في أغلب الظن من أن أكون قد دسست له السم
في الطعام في ذات نزوة مصرية رسبت في تقصى من أيام
الاحتلال

- كل متخافش ا كل ا اطفح ا

لقضم فتعوتة أخرى وهذه لم يستلها بل بصفها . ويهز راسه
بقوة لكي يطرد جزءاً منها علق مشعرة من شاربه . ثم رفع يده الى
فمه وحكه لكي يزيل عنه كافة الآثار . وابتعد عن المكان كله وهو
يجهر قائلاً ناو . فهو إذن - قطعاً وجزماً - لا يحب الفراخ او على
الاقل لا يحب الفراخ المعلقة . وإذا كان قد اكل تلك الفتعوتة فما ذلك
الا على سبيل جبران الخطر وزغبة من ناحيتي في الايكسفن
وبماؤ اخيرة توديعية قفز الى حافة النافذة ومنها الى الرصيف .
وابتعد وهو لا يزال يهز راسه لكي يطرد عن شاربه - وعن ذاكوت
ايضاً - كل ما تبقى من آثار الفراخ التي سوف اتفدى بها أنا
ولعله وهو يفعل ذلك ترحم على الايام الحلوة القديمة حين كانت
الفراخ فراخاً . وتصبب حمرة على هذا التدهور المتواصل في
المستوى السيلحي .

قرايته يبتعد وأنا اتصعب بدورى اسفا على هذا الترفه -
المرضى بغير شك - الذى وصل اليه القط البريطاني وهى بالطبع
مسئولية التاجر البريطانى الجشع ، الذى فى تصيده للشللات
والسمات بكافة الطرق عمد الى تلك الحيلة الدنيئة التى رايناها على
أحد الرفوف فى أحد محلات البقالة ، ممثلة فى علبة تحتوى على
غذاء خاص للقط ، مكون كما تقول العلبة من توليفة فادرة من
شحم الخنزير ولحم الدجاج المفروم فلماذا والحال كذلك لايعترف
القط الانجليزى الوغد عن الغدوة التى كنت انا اعتبرها نوعا من
الرفاهية حيث أقيم تحت الارض ؟

فلغث النسيرة فى الملحق الاقتصادى والقيت بالانثين فى
صندوق الزبالة . فثلا لنفسى انه ليس من الغريب أن يصل القط
الانجليزى الى هذا الحال بعد قرنين من الزمان قضاهما الوجل
الانجليزى فى عض عباد الله وحرشتم فى اربعة أركان الأرض
وعلى أى حال فالحمد لله على امسى فى لندن لا فى نيويورك .
فعند المقارنة بين درجات الثراء ما اظننى كنت انجح فى استمالة
أى قط هناك ما لم اعزمه على الغذاء فى هيلتون ؟

من هايد بارك

عند ذكر هايد بارك قد يتجه ذهنك الى خطباتها المشاهير الذين
يقفون صباح كل أحد لكى يعبروا عن انفسهم فى مختلف القضايا
السياسية والدينية ، فاشلين غالبا فى إثبات صحة آرائهم وناجحين
دائما فى استتارة مخزية للناس منهم ، فليس من الحكمة أن تكف
لكى تدافع عن الكاثوليكية ضد البروتستانتية وسط مجموعة من
الناس أو شكت أن تكف عن الاهتمام بأى من المذهبين . وليست
هناك أية مناسبة لأن تضع يوما كاملا فى الحديث عن بشاعة
الحرب الذرية مستخدما نفس الاسانيد التى قرأها مستمعوك فى
جريدة الصباح أما اذا خلعت فائتلك عن جسم مغطى بأنواع
مختلفة من الوشم الأزرق والأخضر فلا أظنك ستظفر من
المجتمعين حولك بأكثر من شعور بالأسف على أنهم لم يذهبوا الى
حديقة الحيوان !

معظم أولئك « الخطباء » ليسوا أكثر من نفوس حائرة تمسك
ضلت طريقها الى العبادة النفسية . ووجدت فى هايد بارك مكانا
تتنفس فيه تحت حماية القانون عما يمتلئ فى صدرها المكروب
فلا شك أن « أعقل » أولئك الخطباء هى تلك السيدة البديئة التى
تجلس وفى يدها عصا تدفع بها صليحة قديمة فارغة ، وتشد على
الابواق وبصوت مصحك الغنائى قديمة يرددها بعض المتفرجين على
سبيل المجاملة . فهو وفقا لذلك - ركن الخطباء بـهايد بارك - نوع
من العبادة النفسية التى يقوم فيها المجتمع كله بدور الطبيب لتلك
النفوس الحائرة ، ومن الانصاف أن نقول أن ذلك المجتمع قد نجح
حقا فى تكميم دور الطبيب ، الذى يستمع فى صبر طيب لهلوسة
المريض ولا يبعد الى الطريقة عليه فى نزوات السخوية المتباعدة
بأكثر من سبقه الى اكمال جملة له يكون قد سمعها منه فى أيام

الاحاد السابقة .

غير انه ليس من اللازم لذهنك ان يتجه الى الخطيئة عند ذكر هايد بارك ما علب الطر انه سوف يتجه - انا عارف ذهنك كويس - الى ما ترتبط به تلك الحديقة في جرائدنا من حرية جنسية تتفاوت درجاتها وفقا لمراح ونيس التحرير . قلعله مما يفجعت ان تعلم اننى ذرعت هايد بارك اكثر من صباح دون ان ارى اى نوع من القبلات - لا ياريس رايت ذات صباح قبلة واحدة خاطفة ! فلعل السبب في ذلك ان الناس يكونون في ذلك الوقت في اعمالهم ، او لعل التقبيل الصباحي مفضل هناك في حديقة ريجنت . حيث لمحت في نهاية رقعة الحشائش الخضراء المترامية شخصا راقدًا هناك ثم استوى جالسا فانتصع انه ليس شخصا وإنما شخصان ! غير ان الموقف يبدأ في التحسن بالطبع حين يذبل ضوء النهار ، اذ سمعت ذات يوم بعد الغروب - هناك حيث جلست على كرسي طويل من القماش امجاره بالنهار تسعة بنسات - صوت زقزقة لعصفور سيمى الخلق بدليل تأخره في اليوم الى ذلك الوقت . ثم تبين لى انها طرقة لقبلة بين شبحين يجلسان غير بعيد منى على مقعدين متلاصقين بالدرجة المناسبة ، فلربما كان التقبيل الليلي هناك راجع الى العوامل الاقتصادية البحتة ، باعتبار ان القبلة مهما كان نوعها - ولاسيما بعد تخفيض الاسترليني - لا يمكن ان تماوى ١٨ بنسا !

ولقد كان يسرنى ان امكث هناك بعض الوقت لكي ارى كيف تتطور الامور بعد حلول الظلام الكامل . ولكنك تلاحظ انه قد مضى ربيع ساعة من الزمان قبل ان ينزل اى موج من المطر او تحت ذلك المطر اللدننى الذى انهمر فجأة كان من الصعب على ان اربط في الحديقة مهما بلغ من نبل ما عندى من مقاصد الاستكشاف . وحتى لو تحدثت الامطار وبقيت فلا شك ان منظرى حيث اجلس هناك تحت الشمسية لن يكون منظرًا مريحًا للرأى العام اللدننى - خاصة وانا لا قبل احدا ! سوف يظنون اننى مجنون هارب من مستشفى

المحاذيب او عاقل في طريقى اليه ، او انتى ، نوم ، بصاص يتنكر تحت اسم محمد ، او انتى لص انتظر لحظة انسجام بين زوج من العشاق لكي اسرق محفظة الولد او شظية السمك ، وهذا بالطبع مالم اكن رجلا من بقايا المتطهرين يفكر في ذبح المذكورين لكي يكسب شيئا من الثواب

ومهما كان من امر - ومهما اشدت الظلام - لمست اظن انه كان يوجد هناك نوع من العشاق ، مستبعد جدا ان يعطو الحب للناس تحت ذلك المطر اللغد ، انذى لاشك في انه كليل باطفاء اشد العواطف انتقادا . وحتى لو وجدت تلك للعاطفة التى تصمد لذلك المطر فدواعى المحافظة على البقاء سوف تحتم على العاشق رفع شمسية فوقه رفوق معشوقته ، ولست اظن انه موجود في لندن - بالرغم من كل ما فيها من التقاليع - ذلك العاشق الذى يطيب له ان يحب بيد واحدة !

مثل هذا التهوير العاطفى قد كان يمكن ان يكون مفهومًا لو لم تكن هناك انوبيسات او قطارات لها سقف تظلل الحب من المطر . اما مع وجود تلك التسهيلات العصرية فليس شة عاشقين مجنونين يختاران هايد بارك حيث يتحابان ويستحمان في وقت واحد . ولعل هذا هو السبب فيما قيل لى من انه كان لهايد بارك سور ازالوه في العهد الاخير . لما لزوم ذلك السور بعد ان صارت لندن كلها هايد بارك !

اما ذهني انا فهو اليوم لا يتجه الى شيء عند ذكر تلك الحديقة الا الى اللون الاخضر عندما يكون اخضر ، وتلك ميزة في حدائق لندن لا يشكر عليها بالطبع غير السماء التى لا تهرج نفسها طول اليوم . فانت في حاجة الى ان ترى تلك الخضرة الزاهية لكي تعرف ان القول بان اشجارنا خضراء لا يعدو تعبيرا مجازيا ، تماما كقولك ان صحائرنا - في الفترة الأخيرة على الاقل - سجانرا ! الخضرة الخضراء فى رقعات الحشائش المسيجة المترامية الى مدى الشوق في تلك الحديقة الفذة التى تبلغ مصاحتها - صدق او

لاتصدق - ٦٤٠ فدانا انجليزيا اى انها اكبر من اى مركز عندما او بندر . ومن ثم وصفها السياسى البريطانى وليام بت بأنها رقة لندن . ذلك التعبير الذى لاادرى لماذا تصر كافة الموسوعات على تسجيله . وربما كان ذلك لانه - رغم بدهته الى درجة الابتذال - صائب كل الصدق .

فيلير هايد بارك وامثالها من الحدائق التى تزخر بها لندن كان الناس يختنقون هناك حتماً . من بخان المصانع المحبوس تحت تلك الخيمة الكثيفة الداكنة من السحب الرابضة الى الابد فى سماء لندن ا

ومن جماع تلك الخضرة الخضراء وذلك الاتساع الرهيب فى تلك الحديقة الفضة ينشأ فى نفس المرء احساس لامفر منه بالضخامة والجلال . واحساس لامفر منه هو الآخر بالمرارة . ان يخيّل للآذن الموهبة انها تعيش فى حفيف الرياح الباردة عبر الحشائش وبين اغصان الشجر شبيها كالانين . لآلاف الارواح المتعبة التى طلعت ذات يوم فى كل قارة من القارات الخمس أمام بنادق المستعمرين المتعطشين للدماء . ولآرواح كثير من الانجليز ايضا . ان كانت هايد بارك ذات يوم - كما تقول الكتب السياحية نفسها - ميدانا للمبارزة بين العاقونين من النبلاء . ومبارة للسلحاحين وقاطعي الطريق . ومصبا للفتات الرهبان الذين كانت الحديقة موقوفة عليهم حتى انتزعها هنرى الثامن ضمن ما انتزع منهم بقصد قطع دابرهم . غير ان الملكة كارولين - زوجة جورج الثالث - ما لبثت كما يحكون ان طهرتها وحولتها من غابة الى حديقة . فى الاشياء التى كان زوجها مشغولا فيها بقمع الثورة الامريكية توطئة لان يجن

لكك مهما قلت لايمكّنك ان تتخلص - حتى عندما يهطل المطر الوضيع - من ذلك الاحساس بالضخامة والجلال . وبالحرية المسرفة عندما يحل الظلام وتزرق حولك عصافير الليل الساهرة ا

لا لون للحب

لايد انك لرات كثيرا عن السفاحين اولاد الكتب . الذين ابجروا ذات يوم من موانئ بريطانيا والبرتغال وغيرهما الى شواطئ امريكا . وذلك لممارسة اوسخ تجارة يمكن ان يمارسها الانسان وهى تجارة الانسان معه . مقوة السلاح الحديث يصيدون السود العزل مثلما تصيد الارانب البرية او العزلاء . وفى قاع السفينة يكسبونهم كالخنازير . فى رحلة طويلة الى المستعمرات فى الامريكيتين . فى خلالها يموت منهم بالممرض والجوع من يموت . وبالرصاص يموت من يخطر له ان يشو . وهناك فى تلك المستعمرات يسمونهم مالالات الدبة اللازمة لاستغلال المزرعة . نعماء مثل ما فيها من البقر والحموس . ولغة مما يدلك على مشاعة تلك الدرمة ان احد اولئك القراصنة - وهذا انجليزى عمد فى ذات غارة على اولئك السود التعساء الى قتل عدة الاف منهم فى سبيل ان يصطاد اربعمائة لاغير

ساورتتى تلك الخواطر وانا جالس فى مترو لندن . وغير بعيد منى منظر يحنح المرء الى كثير من الجهد نكس يصدق انه يراه . مطر تلك اليد البيضاء للشباب الانجليزى وقد استنكت فى حمار باليد السوداء لصاحبه الافريقىة العمسة . وبين حين واخر تتضاخط اليدان فى محبة زائدة . فى اجمل صورة بالابيض والاسود للاعنصرية الكاملة وللتضامن الاقرب اودى فلا شك ان شيئا لايقل عن المعجزة قد وقع جنى جعل من الممكن ان يندحر هذا الشاب الانسانى الرقيق من صلب ذلك

السفاح المجرم ابن ستين كلب ! ما هو ذلك الشيء لا ادري ولكنه قد حدث ، ومن الابتذال بالطبع ان اقول ان هذا الشاب لا يفعل شيئا سوى للتكثير عن ذنب الاجداد

وكانت هناك في عينه نظرة متجاهلة لمن يجلسون حوله ولا تخطو من لمسة من الحمى ، اذ يعلم ان ليس كل من يرون هذا المنظر يباركونه من قلوبهم ، لاسيما تلك الشلة الجلوسة هناك والمكونة فيما يدور من سياح امريكان ، وهو في الوقت نفسه يعرض شخصه لتهمة القصور ، وانه لو لم تنبذه البتات البيض لما رضى لنفسه بتلك الصديقة السوداء ! لكنه يقول للناس بتلك النظرة المتحدية ان الامر لا يهمهم بالعرة ، وان حر في اختيار صديقه ، وان يؤمن بالمساواة بين كل البشر ، وبالاختصار كده طظ فيكم

وفي عين البنت نظرة سعيدة وشيح ابتسامة يتلاعب على زاوية فيها لا يخلو للأسف من شبهة مراة صامتة ، فهي بدورها تقرا ما يدور في ادمغة الناس حولها ، من انها حين ضمت ذلك الشاب الابيض اليها قد سرقتة من اهلك واخذت فيه شيئا اكبر مما تستحق

احبت الاثنين من قلبي وتمنيت لهما اطيب الاوقات ، وتذكرت كلمة كنت قد كتبتها ذات يوم عن التهجين ، وعن مدى سوء الانسان الذي يعمل على تحسين كافة السلالات ، ما عدا سلالته الخاصة ، غير مكثرت بعبر التاريخ التي تشير الى انه ما من حضارة كبيرة قامت الا على اثر هجرات متعددة واختلاط بين عدد من الشعوب ادى الي ظهور تلك الحضارة الجديدة

وتضاعفت البدان من حديد في حنان لازداد حبى لهما ، ولذلك - او بالرغم من ذلك - تمنيت لهما ان يتزوجا وينجبا طفلا ، فليست اشك في انه سوف يكون اجرد وامتن من أى طفل يولد اوروبا او افريقيا خلاصا ، دعك من ان لويه سيكون جميلا جدا ، ام تراك صوف تجدانتي في جمال لون القهوة باللبن !

العسكري الحزين

لست ادري لماذا يخيل الى ان عسكري البوليس الاممبارى ليس صعبا في حياته ، لاشك ان للمطر اللدننى الوضع اثره في ذلك ، اذ يلوذ منه المدمنون بالبيوت والبارات ويضطر هو ان يشرب كله في عرض الطريق ، لكنه بدا لي غير صعيد حتى في الساعات البادرة التي تطلع فيها الشمس او تغد بالطلوع ، ثمة نظرة حربية في عينيته توحي بصرامة أكثر مما يستلزمه اجراء بوليس عادى مثل ذرع الرصيف بتلك الخطوات البطيئة الواسعة

ولربما كان السبب في تلك الجهامة انهم يصرون هناك على اختيار عسكريهم طويلا ممشوقى القوام يميلون الى الوسامة فرجل بهذه الصفات قد يعانى شيئا من المراءة المبررة بسبب طول الوقت بان مكانه الطبيعي ليس الرصيف وإنما شاشة السينما ، وان عمله الطبيعي ليس مطاردة اللصوص وإنما مطاردة الحسان وهناك احتمال كبير لان تكون من اسباب تماسكه تلك الخوذة المضحكة التي يضعونها فوق رأسه مثل سلطانية مقلوبة ، والتي لا يمكن ان تكون لها اية فائدة في غير اوقات المظاهرات المعلدة لامريكا ، كما انه من الممكن ان يكون ينظرونه هو السبب ، باتساعه الشديد الذي يجعله اشبه بنظرون على ساقى دمية في فترينة للعب الاطفال

نعم هو ذلك البنظرون في أغلب الظن ، المهمة على هذا البنظرون ، لالسبب هذا الاتساع وحده وانما بسبب ما يخيل الى من انه - على عكس بنظونات الناس جميعا - ليس له جيوب ، حقا اننى لاسطيع ان اقطع بذلك بسبب طول الجاكطة ، ولكن اذا كان لينظرون العسكري جيوب فلماذا لم ار يده موضوعة في جيبه مرة واحدة ؟ لماذا صحت ظننى فلاشك ان هذا البنظرون يصمم نوعا من

التعذيب ، كلما هم الممكنين بأن يدخل يده في جيبه فيجد أنها قد دخلت في لاسي .

ولقد خطر لي أن استوثق من الأمر بنفسى ، بأن اقترب منه وارفع ذليل حاكته في هدوء باحثاً عن الجيب ، لكننى قلت لنفسى أنه في الغالب لن يرحب بهذا القدر الزائد من الفضول السياحى بل انه لن يرحب بمجرد سؤالى اياه ان كان له جيب أم لا ، استناداً الى ماوصفت لك من نظرتة الحرجية الكارهة للحياة فكيف يرحب بهذا السؤال الشخصى وهو كما دلتى التحيرة لايرحب بسؤالى اياه اين يوجد الشارع كذا ؟ نعم هو يجيبنى دائماً على هذا النوع الأخير من الاسئلة ، ولكنه وهو يفعل يبدو من أمره أنه يكرهنى ويكره الزمن الذى أرغمه على اجابتنى . اصبعه التى يشير بها الى الضربق يمتد فيما يبدو ان يسبها في عيني ، ونهخته لهجة رجل لايرشدنى بقدر مايشتمنى

اكاد اسمعه - وهو يرشدنى الى المكان المطلوب - يقول - تعشى كده على ماول مشيت مطك ، ونعنى الشارع الذى تنطس بعربية ! وتكسر يمينك كسر دماغ ، تلاقبه فى وشك انلى بقطيع الحميرة م الميت !

لماذا الحرس ؟

ربما كنت أما السائح الوحيد الذى لم يذهب الى قصر بكنجهام لكنى يتفرح على تغيير الحرس الملكى من ناحية لان أدبياً كانت تعطر كلما خطر لي أن اذهب ، ومن ناحية اخرى لاسي فى داخلى غير موافق على الفكرة كلها . ففى اعتقادى ان الملك الانجليزى وفقاً لصورته المعصية لا يحتاج الى أى نوع من الحراسة ، حيث ان احدا لايمكن أن يخطر له أن يقتل الملك فى وجود رئيس الوزراء ، وهذا يتأكد بالطبع اذا كان ذلك الملك ملكة ، فليس شئ من يفكر فى قتل الملكة عبر مخبر هارب من المستشفى ، وفى مواجهة مثل هذا الحظر لاأمر ان الملكة تحتاج الى أكثر من بواب للقصر وكلب ولف ، أما كل هذا العدد من الحراس بملابسهم

المزركشة وقبعاتهم المضحكة فنوع من الاسراف الذى لامناسبة له فى موجة التدهور التى يتعرض لها الاسترلبسى ولكن القصر الملكى يصور فيما يبدو ان يظل قصراً امبراطوريا حتى بدون امبراطورية . وهو اصوار لايفترق كثيراً عن اصرار بريس مصرى سابق على ان يكون لسيارته سائق بليس اليونيفورم والكاسكيت ، يعطيه ماعيته فى أول الشهر ثم يبدأ فى اقتراضها منه من يوم خمسة !

نعم هى ثغفات لامبرر لها بالمرة ، ويكون احكم لو وجهت لتحسين حال بعض المواطنين المساكين ، مثل الرجل الذى يلق على باب محطة ميدان راسل وقد غرق على صدره لافتة تقول للمبصرين انه اعمى ! او للرجل الآخر الذى اقباله كل صباح فى شارع ستراند . طويل اللحية رث الثياب يتوكأ على عكازين يحملانه بسرعة عريية الى مهمة محبولة لايمكن بالطبع ان تكون اللرجة على تغيير الحرس !

زبينة على السلم

فرحة صبيانية تعمرنى كلما وضعت قدمي على بداية السلم المعدنى المتحرك الذى يوصل بين أرض المحطة وانفاق المترو - والذى ينزلق من الى اسفل فى سرعة معتدلة تسمح لى بأن احوح من جيبى علبة الزبيب الذى بالشوكولاتة ، ومن العلبة وباصبعين رشيقتين التلقت زبينة اقذف بها الى فمى ، ماضيا اياها بالكبرياء المناسبة لرجل متحضر ينزلق الى جوف الارض دور ان ينزل من ناحيته اى مجهود عضلى

غير اننى لاظن ان تلك السرعة المعتدلة التى تتميز بها حركة السلم قد روعيت من أجل أكل الزبيب الذى بالشوكولاتة فحسب ، بل من أجل اناحة العريضة للرجل المنزلق لكى يقرأ كافة الاعلانات المعلقة على الحائط بجانبه فى براويز زجاجية جميلة ، والتي تنحدر معه الى نهاية السلم محدثة اياه عن انسب الاحذية له واصلاح السوتيانات لزوحته جذابة جدا . تلك الاعلانات ولامة لتتظر ، ومريحة للعين من بعض الاحيان انهم قد ركبوها على الحائط فى البداية ثم صنعوا السلم لكى يحاذيها ، اللهم إلا إذا كانوا قد وضعوها نصب أعينهم وهم يضعون الخطوط الاولى فى مشروع قطارات الانفاق

ومهما كان من أمر فهى متعة لاشك فيها ، متعة احساسك - حيث تنزلق - بأنك تعيش فى عصر الآلة التى تتولى هناك كل العمل ، وأن مازج تلك المتعة بالنسبة للشوقى مثلى احساس مزعج بأنه متطفل على تلك الآلة التى يعجز عن صنعها ، بل انه ليماء يبدو يعجز عن تشغيلها إذا هو اشتراها جاهزة ، بدليل السلم المتحرك

الذى ركبناه منذ سنوات فى محطة الرمل بالإسكندرية ، والذى اشتغل موسما صيفيا واحدا ثم انتفض لغير ما سبب واضح ومات

وذلك فى مقابل مالا يمكن أن يقل عن ألف مليون من هذا النوع فى لندن ، تعمل طول النهار ومعظم الليل دون أن تتعب ابدا ، مرة واحدة رايت فى منتصف الليل سلما كتب عليه انه عطلان ، وفى الصباح الباكر ذهبت فوجدته قد عاد يشتغل كالحصان الفيدير انهم فى قيامهم بتلك الاصلاحات الطارئة لايحتاجون الى الحصول على توقيع من الملكة !

فاذا تفاوضنا عن هذه المتعة الميكانيكية فهناك متعة اخرى تنتفرك على الدوام حيث تنزلق على ذلك السلم متعة الفرجة على مئات الوجوه التى تقابلك على السلم الآخر الذى يصعد باصحابها من تحت الى فوق ، وجهها بعد وجه تمر بك مثل لقطات متوالية فى فيلم سينمائى ومن النوع المضحك بالطبع ، لانه فى تلك الوجوه ترى كافة حنسيات كوكب الارض ، وترى كافة التعبيرات عن كافة الثوبات النفسية التى يمكن ان تعثرى الانسان من الفرحه الضاحكة على وجه سائحة أمريكية انت يومين لتلهو ، الى الياس انقائل على وجه مهاجر باكستاني أو بابانى حمل امنته وقطع كل المسافة من اسيا الى لندن لكى يكتشف انه لن يجد هناك عملا والعلل للقاتل فى وجه موظف الف ان ينزلق بنفس الصورة موتين فى اليوم منذ ثلاثين عاما والصراخ الصارمة فى حين عملاق زنجى وقد الى العاصمة البريطانية وقد عقد العزم على ان يغزوها غزوا

وبالطبع جميع مقاسات الشعر على رموس الشبان لندنيين كانوا أو سياحا ، الى الكتف يتهدل الشعر فى بعض الاحيان اذا كان ناعما ، أو يرتفع الى أعلى ويكون فوق رأس صاحبه ما يوشك أن يحولها من رأس شلب الى رأس عبد ! وما من سلم يخلو بالطبع من

قبة ملتفة بين شلب وفتاة ما نزلا عليه - السلم - أو طلعا الا
استجابة لعناء الفرويدي البحث

لكن السلم لا يلبث للأسف أن ينتهي وتضطر الى معاودة تلك
العادة البدائية المزعجة - عادة تحريك المناقير عند السير على
الأرض الثابتة . وهناك في الاتفاق تنتظرك مقعة أخرى لاتخلو من
طرامتها الخاصة . مقعة الفرجة على عشرات السياح الواقفين أمام
خراطم المترو في حالة من البلاهة الكاملة والتوهان العام - فتلك
الخراطم بالنسبة للغريب لاتزيد على كونها لغزا للكلمات المقاطعة .
وبلغة أحنية أيضا ! وانت قد تنجح في حل اللغز وقد تفشل . ولن
تصدقني إذا قلت لك أن مصف الأماكن التي زرتها في لندن قد
وصلت اليها لمجرد أنني كنت ذاهبا - بعد استشارة الخريطة - الى
أماكن أخرى !

ثمة مقعة ثالثة تنتظر في جوف القطار ذاته . ذلك الاحساس
بانك لست في قطار بقدر ما أنت في اجتماع للامم المتحدة ! هناك
حيث تجلس بين ذلك - الأفندي - الاسطيري العادي بنيايه الرسمية
العتيقة . وبين عملاق اسود بذكرك بمحمد علي كلاي . وهندي ذي
عمامة بيضاء تتناقض عن عمد مع مكسوكته المشدبة السوداء .
واننى من اعماق افريقيا بنيايها الوطنية المزركشة في جرة نادرة .
ولقى فرنسي كث الشعر والسوالف يضع حذاه على المقعد
المقابل في وقاحة لاتبينة مريحة . وابطالى يحكى لصاحبه وبأعلى
صوته نكتا يبدو من طريقة ضحك الفتاة أنها بذية . غير الألمان
والاسبان والصينيين والروس . والناطقين بالانجليزية الذين وفدوا
من امريكا وكندا واستراليا . ومن اقاليم بريطانيا مثل أهل الريف
في توافدهم على القاهرة في مولد السيدة . كل الألوان تراها وكل
اللغات تسمعا . اذا استطعت بالطبع أن ترتفع بمستوى بصرك
عن ذلك الميكوجوب الجالس أمامك !

وتلك القطارات بالطبع نعمة من نعم الله على الانجليز في دقائق

تقلهم من أول البلد لأخرها . تاركة الاتوبيسات للذين ليس وراهم
حاجة . ولذلك مارست في لندن مقعة أخرى لم أمارسها في القاهرة
منذ الحرب العالمية . مقعة الركوب في الاتوبيس جالسا . وهذه
الاتفاق والقطارات قد تم تشييد الجانب الرئيسى منها - صدق أو
لاتصدق - قبل بداية هذا القرن . أى قبل أن يعرف النرام طريقه
الى ما فوق أرض القاهرة ! فهو - كما ترى - سباق رهيب بيما وبين
حضارة العرب الصناعية . سباق لن نستطيع أن نحازيه عالم
متخفف من كافة ركائزها القديمة ونركض بكل قواها ما كدنا لنحلق
بعصر البخار حتى سبقوا الى عصر الكهرباء . وما كدنا ندخل
النور حتى وثروا الى عصر الذرة . معذرة اذا سمعتنى اتندد وأنا
امضغ هذه الزبينة التي امت الاتهم الغربية ان يأكلوها إلا مكسوة
بالشوكولاتة ! انما طعمة قوى وشرف النسي . تأخذ لك ربيبة !

البطة وأنا

على دكة على شاطئ القنال الصغير في الضاحية اللندنية
المسماة بفينيس الصغيرة . جلست أقرب بطة جميلة طافية على
سطح الماء . باسمها لها في حباب سبب ذلك الشعور المبهج بأننى
اعرفها . وبغنى القيت لها ذات يوم لقمة سميط في جزيرة الشاي
بالقاهرة فشكرتني بقولها كاك

فعندما يقشرب الشتاء سوف ترتد لحظة ثم لاتبرح ان تيصط
جناحيها الصغيرتين المتركشتين وتطير عبر المانش تحلق لا أخذت
فيزة ولا ياسور . وعبر مزارع الكروم في فرنسا . عسى أن تقف
لحظة لتستريح فوق طرطوة برج ايلل . ووقفة أخرى فوق جبال
الالب . متفقتة حولها تبحث عن جزيرة الشاي . ثم عبر البحر
الايض فوق الاسطول السادس . ارجو ان تصط على كتف أحد
الكباش علامة صغيرة ترتل برجة

اما حاليا مهي تصيف مثلى في لندن . وهي عينها السوداء

البراقة في رأسها المنفوش الذي إلوى نحوى رأيت نظرة تأكدت منها انها هي الأخرى قد عرفتني وتريد أن تسألني اين لفظة السميط . فهي بالطبع لاتعرف أن هذه الاشياء غير موحدة في لندن . وإن هذا الثرف الغذائى لا يوجد في غير اسواق القاهرة ولقد كنت لأجلس ساعة اناجيبها لولا الظروف . التي تدخلت لتقطع جلستى واننى اعتقد انك قد عرفتني من نفسك . وهي ذلك الرذالة الذي بدأ يتساقط معلنا أن السحب قد شربت من الماء أكثر من اللازم . فنشرت العظلة فوق رأسى وواصلت العلو في عتاد . وتذكرت ما قرأته في مكتب سياحى على أن الشاعر براوننج كان يقيم في مكان ما على الترة فلربما يكون قد جلس على هذه الدكة ونجى مثلى جده لهذه البطة . ثم قطع خواطره طر كذا العطر فعلا نفسه بالمرارة التي تفيض بها أكثر من قصيدة له أنا شخصيا لو اقمنا هنا عاما كاملا لاتنتهى امرى ككاتب فكافة . وليدات الكتب اشياء يتحول ازامها شويهنير نفسه الى كبير المتفائلين وهرت بطنى دينها وجدفت بساقها بسرعة لتحتفى هذا أو هناك من ذلك الاسبال السماوى . وميتما تبتعد الثقث وراها محوى وسمعتها تدبى . قالت فائلى بعد سهيرى في جزيرة الشى ولغة ثانية إلى البراء لنقول لى وامتسالت السميط .

لماذا كان الانجليزى باردا ؟

الامطار الوضيعة تنهمر على دماغى وليس معنى مظلة . وبينى انفدى نحو ماتنى متر يعب أن انطعها على قدمى بدأت بالطبع بمشية سريعة إلا انها وقور . وابتسامة فلسفية توهم الآخرين بأننى أكبر من تلك الظواهر الطبيعية السخيلة . لغير اننى مع بدء تساقط القطط والكلاب رأيت أن السير السريع يجب أن يتحول الى حنيلة . تلك الحنطة التي ما مرحت بدورها أن تدوات إلى حرى صريح بكل قوتى وملعون ابر الوقار ! وبينما أجرى اسب والعد مسبقهما كل ما عندى من الفاظ بذية أعرف أن احدا لم يسمع منها شيئا نكر الحرى لم يعنى من الفلسفة . او معنى في دهمى ذلك . الخاطر الحسنى عن السبب الذي من ثلعه كال الرجل الانجليزى ابرد من غيره بعض الشيء . وهذا السبب هو أن الرجل الانجليزى قد وجد لزاما عليه أن يختار بين امرين : أما أن يكون باردا وأما أن يجن . فلو انه سمح لأعصابه بأن تنور كلما هطل المطر . ولو انه راح متى يسب ويلعن فسوف تتحول حياته الى حالة من الدوح المتواصل . وسوف تنعكس هذه الحالة العصبية على سلوكه العام بما يهدده بفقد كافة اصدقائه . وربما انتهى الأمر بفصله من العمل وعودته الى البيت لكى يجد أن زوجته قد أخذت العمال وطفشت امسك اعصاك يا جورج ! اهدأ يا جون ! خليك باردا يا وليام هكذا يقول الرجل الانجليزى لنفسه طول الوقت . جبلا بعد جبلا وهو يعزى تحت تلك الامطار اللعينة حتى تحول انطبع الى طبع

ونشأ هذا الرجل الذي اضطر الى ان يكون باردا . ولذلك يقول الذين يعرفون الاستراليين انهم ليسوا باودين مثل اجدادهم الانجليز . ولا شك ان الانجليز المعاصرين سافروا الى استراليا وقضى بعض الوقت هناك لبدأ بتغيير تدريجيا . مثل حلزونة صغيرة تشع بحرارة الشمس لتد راسها وتخرج من قوقعتها شيئا فشيئا يذيب الدقء تلوج نفسه ويزيل جهامته ويجعله مرحا مثل القنفذ الذي يتقافز حوله في الشمس العشرقة . وفي هذا الانهمك الفلسفي وانا اجري نسيت ان اتخذ ذلك الاحتياط اللازم بما يناسب الموقف . وهو ان الف في الجريدة رغيغ العيش الذي كنت قد اشتريته لزوم الغداء . وهناك في الفندق شين لي انني احمل بدلا من الرغيغ كتلة من الدقيق المعجون بماء المطر . اكلته لاتصلح لكائن سوى البيط او انفراخ . وللأسف لم يكن في الفندق ايز . والا لاضفت بعضا منه الى الرغيغ واكلته فنته !

فقر في لندن !

على رصيف شارع اوكنسفورد غير بعيد من محلات سلفردج ٥٧ مليون جنيه . رايت لمة كبيرة فانتحشرت فيها لاعرف سرها بين ميكروحيوس عادين . وهناك رايت رجلا انجليزيا قد وضع على الارض صندوقا كبيرا مفتوحا . ومنه يخرج زجاجات عطر صغيرة يتادى عليها بما معناه

- سلفردج يبيعها باتنين جنيه ! لكن انا موش ح اقول اتنين .. ولا حتى جنيه .. ولا نص جنيه .. ربع جنيه بس .. ربع جنيه القزارة يابلش .. يالله يا جدهان مال الحاجة ! هذا الرجل دليل ناطق على ان الفقر مازال موجودا في عاصمة الامبراطورية السابقة . فلو ان هذا الرجل لم يكن فقيرا فلماذا لم يفتح له محلا مثل سلفردج بدلا من ان يكتفى بمناسته بهذه الطريقة البدائية ؟

ولهذا السبب - لانه فقير - تجمع حوله كل اولئك الناس رغبان في الجيوب والحقائب عشرات الايدي تبحث من ارباع الجنيه . من الذي لا يخف الى نجدة هذا الرجل التمس الذي لا يوجد ادنى شك في ان اولاده على شفا الموت من سوء التغذية ان لم يكونوا قد ماتوا فعلا ؟

فلو كان معي مايسمح لي بهذا الترف الخيري لاشتريت منه زجاجة او اتنين ولا الحوجة لسلفردج . ولكن امر لي من لندن بالعملة التي تسمح بشراء الكولونيا التي حتى في القاهرة لا اشترىها إلا اذا تعدت حرارة الولد المريض ٤٦ وشرطتين ؟ فاكشفت بان اتهد وانصرف . وعند محطة الاوتوبيس وقفت اتصفح الجريدة التي ايدت تلك الحكاية الخطيرة عن وجود الفقر في بلاد الانجليز . فلتقد اجرت احدي الهيئات بحثا في أحد اقاليم بريطانيا . ومنه تبين ان سبعين في المائة من سكان ذلك الاقليم التمس يعيشون في حالة فقر مدقع . فمعظم العائلات هناك - ياكبدى عليها - لاثربح اكثر من عشرة جنيهات في الاسبوع الكامل !

خير يعزق بالطبع نياط القلب . فإذا صح هذا الكلام فماذا اذن كانت فائدة كل تلك للقرن من قتل الهنود والسود والبيض في أربعة اركان الارض ؟ اهذه نهاية كل هذا التعب - ان بعض الاسرات البريطانية مازالت تربع في الاسبوع مبلغا لايزيد على الذي تربحه اسرات البلاد المنهوبة في الشهر وربما في العام ؟

لا سن للباس

شيتان ينتشران في شوارع لندن كالوباء . الحمام الذي لا يجد من يأكله . والعاجاز الانجليزيات اللواتي لا يجدن من يلعبن في البيت ! لا يمكن لك ان تتعطف في طريق إلا وترتطم بعجز مقبلة من وراء الناصية . ولا يمكن ان يخطر لك الجلوس

على دكة في حديقة أو شارع الا تجد عجوزا قد سبقتك اليها هي ترفض الاعتراك - العجوز الانجليزية - بانها قد راحت عليها . تموت ولا تقول ياها حسن القتام ! وهي فيما يبدو تلفح عشرات الاسباب التي تبرر خروجها من البيت ، مثل رغبة عيش تدعى انهم في حاجة اليه ، زاعمة ان حفيدها لا يستطيع ان يبوب معها في ذلك لانه - يا ضنايا - قد جصاب في هذا البرد بالزكام . فاذا تصادف ان كان البيت في غير حاجة الى شيء فهناك كلها الصغير الذي يجب ان تخرج به لكي تقسمه ، غير مكتوبة بما يتسلط من رذاذ يهدد بان يكون مطرا . باسمه في سعادة كلما اضطرت الى ان تتوقف - منقادة للعجز - عند هذه الشجرة او تلك

وهي في تلك المشاوير تحب ان تكون انيقة على طريقاتها الخاصة ، وكافة ورود الحديقة رايتها في فستان واحدة منهم على خلفية من الحشيش الاخضر . وعلى رأسها قبعة اشبه مسلة لندكة . ومن السلة تنبعث وبشة سرقفتها من ذيل طاووس

وهي اخر الشارع زجور صوت موتوسيكل هاجم نحوى كالوشش المحنوق . فوثبت على الرصيف وأنا العن جنون السرعة المسيطر على شباب اليوم . ثم اقترب الموتوسيكل متى ورايت راكبة فاذا به لاشباب اليوم ولايجرتون ، بل هي عجوز ست ستين او خمسين على الأقل

وفي الدارات بجهنم ليشرب البيرة شوبا بعد شوب . صاحكات بأصوات حشنة عالية تملأ على أصوات الرجال لم يسمع فيما يبدو بتغيير . من البأس . انذى تطلقه نحن على الاسى حس نكف عن الحيف مصرات على الا بلقين عزرائيل بغير شيء . من روعة النداء على شجاعتهم 'العواحين' من الضائقة الانجليزية لا تقدر على عتار النساء

عنادا وتشبها مستميتا في الحياة ، وخذ على سبيل المثال ذلك الرجل الذي رايت في احد المشارب مقوم الظهور حتى ليوشك ان يلاص يانفه وكتفيه وعلى ساقيه المرتعدتين بشدة يحمل ما لا يمكن ان يقل عن ثمانين عاما . سار نحو الينار يتجلمع ويتنفض . واكد اصمغ لعظامه صوريا . وطلب من عاملة البار بصوته الاهتم شيئا لم تفهمه لأول مرة . فاستمدت عدة مرات قبل ان تدرك انه يطلب شفاطة في استعمار . مطوت فيه ثم قدمت له الشفاطة التي تناولها بيد مرتعد مثل ذراعه وصل ساقيه . وبالشفاطة عاد يتخلع ويكركب متجها الى مائدة رايت فوقها كوبا من البيرة لا ادري ما الذي اوصله الى هناك . ثم جلس الوجد ويده المرتعشة راح ينشئ بالشفاطة نحو الكوب حتى نجح في ان يضعها في الشراب . ثم مال الى الامام وأطبق بشفتيه وهات ياشط !

هي قطعاً طريقة غير تقليدية لشرب البيرة ولكنها كانت الطريقة الوحيدة المتاحة له . فبتلك اليد المهزوزة ما كان الرجل ليظفر من كوب البيرة بأكثر من جرعة صغيرة وبالي الكوب على هدوء

آخر عناد واخر اصرار على كل من الحياة والبيرة . ليس غير الموت وحده يستطيع ان يحدد اقامته وان يحرمه من كوبه المحبوب . فهو اشتد عليه المرض حتى الزمه الفراش فما اظنه يقلع عن الشراب . وهناك في السرير مرتعد عاجز اهتم ، ما أشك في انه صوف يصرخ فيمن حوله مطالبا اياهم برجاجة البيرة وبزازة

انظر ... يمينك

من رأى أن الرجل لا يمكنه أن يقول - صادقا - أنه قد فهم مدينة لندن حق الفهم ، مالم يكن قد شرع من تلقاء نفسه في الالتفات جهة اليمين كلما هم بعبور الطريق ، ذلك الرأي الذي إذا سلمنا بصحته فيبدو اننى سأغادر لندن وكأننا يابدر لارحنا ولاجينا ! إذ همعت منذ قليل بالنزول عن الرصيف فرأيت على أرض الطريق كلمات كبيرة بالخط العريض الأبيض تقول لى انظر يمينك فنظرت الى يمينى لكى ارى لجمال سائقين تبرزان فى اجراء صورة من العصر ميكروجوب ، الامر الذى جعلنى اشعر بالعجاب الشديد ببلدية لندن التى امكنتها ان تنبهنى الى المنظر بهذا التوقيت الدقيق ، ومواصلا نظرتى اليمينية منزلت عن الرصيف لكى اسمع فرملة حادة لسيارة مقبلة ، فلفزت الى الخلف وقد تذكرت فجأة أن البلدية لم يكن عندها أية فكرة عن ذلك الميكروجوب عندما امرتني بأن انظر الى يميني ، وانما كانت تعرف أن سائقا مغفلا مثلى سوف يعاثر بعبور الطريق من هذه النقطة ، ناسيا أن السيارات فى لندن - على عكس السيارات فى البلد التى وفد عنها ايا كانت - تسير على يسار الطريق لا على يمينه .

زغرة حادة من السائق قابلتها بائذلة المناسبة لجلالتي ، ثم سررت فى حال من الغيظ المتزايد من اولئك الناس يصرون - بخلاف العالم أجمع - على أن يسيروا على الشمال . فلماذا بحق الشيطان يفعلون ذلك ؟ هل يريدون أن يشبوا للناس - مثلا - انهم من طبعة نليسة خاصة ، وأن شيئا فى الحضارة

البريطانية قد نجح فى تخليصهم من تلك العادة التى توشك أن تكون تمييزية فى الجنس البشرى - عادة السير على اليمين !! مستبعد طبعاً أن يكون هذا هو السبب ، ومن السخف أن احسم الامر بقولى بأن عفتهم مركب شمال . ولذلك انتهرت فرصة وجودى فى احد التاكسيات والقيت بالسؤال الى السائق الذى يهتم ان يكون عنده الجواب ، فتنحنح الرجل وشرع فى الاجابة بلهجة تدل على انه قد سمع ذلك السؤال وسمعه حتى سئمه الى درجة الموت . وكانت اجابته مكونة من مجموعة فريدة حقا من حروف الراء والسين تساندها حروف أخرى ، غير انها للأسف لا تحتوى على أى كلمة من الكلمات التى مورت على فى أى من الكتب الانجليزية التى قرأتها . فشكرته متظاهرا بالفهم وغادرت التاكسي وأنا أشد جهلا بالسبب الذى من احله يسيرون على اليمين ، دعك من السبب فى ان الانجليز لا يعرفون الانجليزية

وفرملة شديدة أخرى وأنا اهم بعبور الطريق ، فوافه ما أعرف كيف أتبع لى أن اجتاز هذين الشهورين دون أن أدهس فريما كان الامر واجعا الى ذلك السبب البسيط : ان أزمة زيت القرامل القاهرية لم تصل بعد الى لندن !
الكنيسة الخالية

تعبت من السير فجلست على أول دكة صادفتنى ، ومرة أخرى شكرت لندن على اتمامها براحة النفس ممثلة هنا فى تلك الدكة المنتشرة فى شوارع البلد ولاسيما فى ضواحيها . وكانت الدكة بالمصادفة غير بعيدة من باب كنيسة ، وبالمصادفة ايضا كان الوقت صباح يوم الأحد ، تلك المصادفات التى رحبت بها على أمل ان اتفرج على مواكب الاتقياء الداخلين الى الكنيسة او الخارجين منها . خاصة وأنه لا مقر من أن يكون بينهم عدد من التقيات اللواتى يسرن ان أقيس - بالنظر طبعاً - أطوال فساتينهن لكى

أخذ فكرة صحيحة عن العلاقة بين طول لستان البنت وبين درجة تقواها . وعن الوضع الحقيقي للمبنى والميكروجوب في فلسفة الكنيسة البريطانية الحديثة .

لكنني للأسف لم أر أي شيء . نصف ساعة كامل مضى هناك وما من تقى دخل الكنيسة أو تقية خرجت منها . كأن هذه الكنيسة ليست كنيسة وكان اليوم ليس يوم أحد . وقسيس ضئيل الجسم برز عند الباب وراح يتلفت حوله . أحمر الوجه وديع السهات وفي نظرائه معنى من الشعور بالاحباط . هنا وهناك يتلفت حتى استقر بصره على . ومدى لحظة خيل إلى أنني رأيت في عينيه نظرة مناشدة . فخطر لي أن أجبر بخاطره وإنهض للصلاة . لكنني تذكرت أنني سوف أخطئ لأحالة في أداء الطقوس . فيكتشف الرجل امرئ ويظن أنني أرمي إلى السخرية منه ويأكي أن ذلك قد أسأت إليه وأنا الذي مارميت إلا إلى الاحسان . فاشحت بوجهي وتشاغلته عنه بالتطلع إلى السماء . والشئ الوحيد الذي وجدته هناك هو كتلة ضخمة من السحب الرمادية المنذر بالخطر .

فنهضت وابتعدت وأنا ارثي لذلك القسيس المسكين . متذكرا ماقرانه ذات يوم من أن أحد القساوسة قد الحق بكنيسته فرقة من موسيقى الجاز على أمل أن تغري الشباب بالحضور إلى الكنيسة حيث يجمعون بين متعة الصلاة والرقص . تلك التجربة التي أميل إلى الظن بأنها قد فشلت بسبب مالا بد أن الشباب قد عانوه من الحرج وهم يرقصون تحت تمثال المسيح المصلوب .

فلاشك أنها مخنة بعانيها رجال الدين في إنجلترا القرن العشرين بحيث زال أثر للابرار والمتطهرين الذين كانوا يقتلون الرجل بسبب أصغر شبهة توحي بأنه ليس متطهرا مثلهم . فإذا استمرت الأمور تسير في هذا الاتجاه فلن استبعد أن يأتي يوم تعدو فيه الكنيسة الإنجليزية حذو سائر المؤسسات هناك . وذلك بأن تقلل أبوابها في أيام الأحد ١

انثى مختلفة

عيتان خضراوان مثل معظم عيون الاناث في لندن . في وجه ابيض وبسط شعر أصفر مثل معظم الوجوه والشعور هناك . ومع ذلك خيل إلى أنني أرى فيهما شيئا مختلفا عما أرى في عيون سائر الاناث . فهذه الانثى على غير المألوف رقيقة النفوس عذبتها . تنظر إلى الدنيا بدون أن تزغر لها . ولمسة خفيفة من التهيب لما حولها من الناس في عربة المترو .

فاذا التفتت هنا أو هناك فهي تلتفت ببطء وإناة . لحظة عابرة يستقر بصرها على الشئ ثم يرتد عنه بسرعة . شاعرة لسبب ما أنه ليس من حقها إطلاق النظر إلى الأشياء . إذا افترضنا أن لها حق النظر أصلا . إذا كانت انجليزية أو أوروبية عموما فلا بد أنها قد واجهت في طفولتها قدرا أكبر من المألوف من الكبت . الأمر الذي يوحي بأن أباه أو أمها - أو كليهما - من غلاة المحافظين أو حتى من المتطهرين .

ويذا القطار يهبط من سرعتة ونهض من الناس من بنوى النزول في المحطة التالية . وبينهم شاب اسمر شرقي السمات مد يدا ربت بها على كتف الفتاة لينبها إلى ضرورة النهوض قائلا بالعربية .

القط والجرس

صوت رنين خافت لجرس صغير يشخلل في الحديقة الخلفية للفندق وهو لسبب ما يصل إلى أذني من جهات مختلفة . مرة من هنا ومرة من هناك . فنهضت ونظرت من النافذة حيث رأيت قطا - أو قطه لا أدري - يتقافز في الحديقة كعادة القطط مطاردا شيئا ما . ومن تنقل صوت الجرس مع حركة القط بدا أنه مرتبط به بطريقة ما . الأمر الذي ثبت لي عندما تبينت بتدقيق النظر أن هناك جرسا صغيرا يتدلى من عنقه ويشخلل معه كلما نهط هنا أو هناك .

وبسؤال البث التي تأتي لتنظيف الحجرة عن الغرض من ذلك الجرس قالت انه يرجع الى مشاعر الرحمة التي يزرعها صدر صاحبة البيت ، اذ كرهت ان تتعرض عصافير الحديقة للخطر من قطعها فركبت في عنقه ذلك الجرس الذي يتبه العصافير وسائر الكائنات اللطيفة الى ذلك الخطر المقرب ، وأما من ناحية القط فهو ليس محتاجا الى اكل العصافير بسبب ما يشهد به شحمه الكثير على وفرة ما يعطى له من الوان الغذاء داخل البيت .

كلام معقول وعاطفة تشكر عليها تلك السيدة قطعاً ، وإن كنت اعتقد ان الحاجة تدعو بشدة الى تعليق جرس آخر في عنق كائن آخر هو العنق الشخصى للسيدة ، فيمثل هذا الجرس كانت تفكر مرتين قبل ان تتسلل الى الحجرة لكي تضع بعض الماء بدلا من الجرعة التي نالتها من زجاجة الويسكى التي اهدانى اياها أحد الاصدقاء لزوم الدفء في العاصمة الباردة !

يوم الحشر في بيروت

لا فرق في بيروت بين أن يكون عندك كاديلاك أو فورد أو فيات ، فليس ثمة فرق بين السيارات ما دامت كلها واقفة ، هي تحشى - سيارات بيروت - مترا وتقف ، ثم مترا آخر وتقف ، وهكذا طول الوقت في حال من الزحام الذي لا أذكر اننى عانيت به قبل ذلك في غير الكوايس !
وعسكرى المرور واقف وسط كل هذا الزحام ينفخ في صفارته يدوين أى مناسية واضحة ، فليس غير النفخ في الصور يكفى لحل تلك الإزمة المرورية التي هي صورة مصغرة ليوم الحشر ! ..

لذلك ما تكاد احدى السيارات تقف هنا أو هناك من عنق الزجاجة المسدود حتى تندفع كالصاروخ الموجه احيانا ، وغير الموجه دائما ، فرجة السائق بالخلاص تجعله أشبه بحيوان فتح له باب القفص بعد حبس طويل ، فانطلق يجرى بغير ما هدف سوى أن يجرى ويجرى

ولعل هذا هو السبب في كثرة السيارات في بيروت ، أن صاحب السيارة لا يبرح أن يزحف منها فيبيعها بأى ثمن لمجرد أن يتخلص منها ، والمالك الجديد للسيارة يصنع بها نفس الشراء ، ولعله لا يجد لها مشترىا فيتركها هنا أو هناك ويعود الى بيته عاشيا !

فلو اننى اشرع القوانين في بيروت لاضفت الى العقوبات التقليدية هذه العقوبة البيروتية الجديدة ، قيادة السيارة من الواحدة الى الثالثة بعد ظهر كل يوم !

ويبدو أن الحشر سمة عامة للحياة في بيروت ، وخذ على سبيل المثال هذه القصة :

وهذه الظاهرة ليست غريبة في أي مجتمع يقوم على البيع والشراء . وإنما الغريب هو أن يتبادل الرجلان تلك القصة بذلك الصوت المرتفع وبهذه الصراحة التامة أمام سائر الاغراب الموجودين في السيارة . فهي بهذه الصورة فلسفة عامة لا اعتراض لأحد عليها . انه طالما وجد اناس ينحشرون فأكرام المحشور دفنه !

ومدينة محشورة

وذلك ان بيروت نفسها محشورة بين البحر والجبل . كل زيادة في سكانها يجب ان تستوعبها في داخلها دون أي قدرة على التمدد والانتشار . ولذلك بدأت المدينة . ترتفع . بدلا من ان تنسج . والاف الانوار تتلألأ في الليل من فوق الجبل . انوار الناس الذين اتاحت لهم ظروفهم الاقتصادية ان يرتفعوا . هناك يتاح لهم - الاقلية السعيدة - ان يتنفسوا الهواء الطلق . ناظرين قرا رثاء او شماعة او مزيج من الاثنين الى الالف التعساء المحشورين في المدينة الواطئة

على شاطئ البحر

وحيث انني محشور مثل صاحبنا الذي سيبيع دكانه . فقد كان لزاما على ان انحشر في ذلك الفندق الرخيص في وسط البلد . ولذلك قلن تجدني فيه الا ساعة النوم . حيث اوتى كالقنبل وسط احلام مزعجة عن آلاف السيارات التي تحاصرني وتريد ان تدفسني . وعن جدار من الاسمنت المسلح يرتفع امام نافذتي ويحجب عني النور والهواء اما بالنهار فانا على شاطئ البحر . صائر على القدمين او جالس في هذا الكازينو أو ذاك . والبحر هنا شديد الجمال . فمتى كان البحر في أي مكان غير شديد الجمال ؟ وهو في نظري - البحر وبرغم حركته التي لاتهدأ - عنصر الثبات الوحيد في هذه الدنيا . فالبحر هو البحر في كل مكان . دائما اترق

استأجر رجل شقة ذات بلكونة تطل على قطعة من الارض الفضاء . وفي ذات يوم رأى عددا من الفنيين والعمال يلبسون تلك الارض ويمدون العدة لبنائها . وبدأ البناء يرتفع شيئا فشيئا . وقوى الرجل يحايط من الاسمنت المسلح يسد المنظر أمام بلكونته . لا على بعد متر أو اثنين وإنما على بعد ستمتر واحد من بلكونته !

قواله لو عندي وقت لكنت عن موقف ذلك الساكن قصة من نوع قصص كافكا . لحاول فيها أن أعبر عن شعور انسان معاصر وهو يرى بلكونته - في خليط من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - تتحول من بلكونة الى حجرة ! شيء كهذا لو حكى لي لما صدقته . وكان لزاما على ان احضر الى بيروت لكي آخذ هذه الفكرة عن يوم الحشر !

رجل محشور

ويبدو أن واحدا في بيروت لا يعتري على هذا الحشر . بل ان الجميع يرونه شيئا طيبيا وسنة عادية للحياة . ففي سيارة « السرفيس » - التي هي تاكسي بالنظر - جلس بجاني في المقعد الخلفي رجل ما . وصديق له جلس في المقعد الامامي . وكلنا محشورون في تلك السيارة المرسييس المحشورة بين سائر السيارات في الشارع الضيق وراح الرجلان يتحادثان بصوت مرتفع . ومن كلامهما فهمت انهما يفكران في شراء دكان يملكه شخص ثالث . لا لانه يريد ان يبيعه وإنما لانه مضطر لان يبيعه . اما لماذا هو مضطر لان يبيعه فهذا ما لسره احد المتحادثين بقول للآخر :

- انه - محشور - في الفين ليلة !

وبما انه محشور في ذلك المبلغ فأي شيء اسهل من ان يحشرا نفسهما في الموقف ويتقدما لشراء الدكان منه بالتمن الذي يناسب رجلا محشورا !

اللون أو أخضرلا ، ودائما تنكسر امواجه بنفس الطريقة على
الصخور المغطاة بالطحالب أو تنغرس على رمال الشاطئ
الصقراء . صحيح ان في جوله حروبا كثيرة ومأس فاجعة بين
الاف الاتواع من الكائنات . ولكنك لا ترى اى شيء من ذلك حين
تنتظر الى سطحه الازرق الهادئ

هنا فقط اشعر باننى غير محشور وباليات عندي من المال
مايسمح لى بأن اقيم الى الابد في احد هذه القذائق العملاقة
التي تلجج على كل نظرة الى البحر بكيرة ! ولما كان الامر ليس
كذلك ، ولما كان موعد قيام الطائرة قد حان فارحوك ان تاذن لى
بالتوجه الى المطار لكي انحشر في الطائرة التي ستحملنى آخر
الامر الى القاهرة .. هل سمعتك تقول لى حمدالله على
السلامة ؟

فهرس

صفحة

٧	الساحر العظيم
١١	سكة سفر
١٤	ذكريات من اسوان
٢٨	الثاني العرج في الاقصير
٥٢	في سفينة نوح
٨٥	شارع السيقان الموسيقية
٩٠	في جحيم من القليل
٩٥	من الشحاذة في لندن
٩٩	حصر في لندن
١٠٤	الفرق بين جورج وماي
١٠٩	ذوات العيون الحرة
١١٤	مطر .. وزيف .. وجنس
١١٨	عن القط البريطاني
١٢٢	من هايد بارك
١٢٧	لا لون للحب
١٣٢	زبينة على السلم
١٣٧	لماذا كان الانجليزى يتردد
١٤٢	انظر يمينك
١٤٧	يوم الحشر في بيروت